سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/pages/Souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (6) | 2011/10/30 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

من صور المظاهرات السلمية والإضراب في المدن السورية (حمص)

في هذا العدد

الافتتاحية 1
العصيان المدني.. توافق لسلميتنا
أخبارنا 3-2
أوجاع وطن 3
الإضراب في درعا
وجهة نظر ..... 5 - 4
في اختلاف الوقائع السورية
كلمة في الثورة 6
الثورة السلمية وتوافق الأضداد
من الربيع العربي 7
الانتخابات التونسية.. أولى ثمرات ديمقراطية الربيع العربي
حكايا الثورة 8
الخديعة
دندنات إندساسية 9
تعا... ريف
نبض الروح 10
فدائي
وجوه من وطني 13
فحري البارودي
حبر ناشف 15
العصيان المدني والإضراب في دمشق (1936)

صورة الغلاف: تصوير ليلى جودت

العصيان المدني.. توافق سلميتنا

التبس مفهوم الإضراب والعصيان المدني، وهو جانب من جوانب الكفاح اللاعنفي، في أذهان الكثيرين بالخنوع والضعف، والإذلال، لكن ما نفعله نحن السوريون في إضرابنا وعصياننا، هو مواجهة عظيمة، لآلة القتل والقمع. إنه سلاح إنساني بامتياز، يسمو بنا إلى مراتب القديسين. هو بطولة، وكمال لإنسانيتنا، وأداة لتقديس ثورتنا المحقة في سبيل العدالة والحرية.

عارض الكثيرون من زعماء الأفارقة الأمريكيين مَيل مارتن لوثر كينغ السلمي، واعتبروه أحمقاً حالماً، وهو الذي كان يحلم فقط بالمساواة في ركوب وسائط النقل العامة مع البيض، فأمسى بسلميته المرجع الإنساني للحرية الغربية.

كما لم يتصور يوماً قادة المملكة البريطانية العظمى، أن منهج هذا النحيل غاندي اللاعنفي، سوف يدرس في جامعاتهم ويصبح مرجعاً لكل من يبحث عن الحرية.

اليوم وقد دخلت انتفاضتنا المباركة شهرها الثامن، ومظاهراتنا في كل قرية ومدينة وحي، لابد وأن يكون هناك سلاح أخر، سلاح يواجه آلة قتل العصابات الأسدية، سلاح فعال نواجه به هذا النظام القمعي الظالم، بدون أن يستمر شلال الدم المتدفق يومياً، سلاح يكشف الكذب والخداع، في هذا النظام وإعلامه، للداخل السوري قبل خارجه، وللأغلبية الصامتة من شعبنا البطل.

العصيان المدني، هو جزء مهم من كفاحنا السلمي ضد النظام المجرم، يزيد عزلته، ويعدم مصادر تمويله، ويبعده تباعاً عن حياتنا المدنية، حتى نرميه في نهاية المطاف مع أوجاعنا وإلى الأبد.

إضرابنا وعصياننا، هو بامتناعنا عن الذهاب للعمل، وإقناع زملائنا بذلك في كل مكان، امتناعنا عن الذهاب للمدارس، والجامعات. أن نتواجد في منازلنا، أن نرفض أن نساق كالقطيع للرقص على دماء الشهداء، أن نقاطع كل ما له علاقة مع هذا النظام، اقتصادياً أو معنوياً، وكل من هو على صلة بآلة القمع هذه.

ألا يستحق من بقي حياً من أطفالنا، أن ينعم بالحرية؟؟

ألا يستحقون مشاركة غدٍ، حر، كريم، نصنعه لهم بأيدينا؟؟

ألا تستحق سوريا منا ألا نضيعها؟ أن نصونها؟ وأن نبينها؟

سوريتنا تستحق منا كل جهد نستطيع بذله في سبيل غد أجمل لنا، ولها، ولكل من سيعيش فيها، على أرضها المباركة..

سوريتنا

إضراب في المحافظات السورية ومئات الجنود يحطمون واجهات المحال (المضربة) والناشطون يكتسبون مزيداً من الجرأة

هرع أحمد بجبوج لفتح متجره حيث يبيع الأثاث عندما أخبره الجيران أن قوات الأمن تقتحم المتاجر بالقوة لإنهاء إضراب عام استمر أكثر من أسبوع في مدينة درعا السورية.

وقال السكان أن مئات الجنود انتشروا في الشارع التجاري الرئيسي في درعا محطمين واجهات المحال ومهددين أي شخص يرفض إنهاء الإضراب الذي دعي إليه احتجاجاً على تصاعد الحملة العسكرية التي يشنها النظام ضد المحتجين المطالبين بالحرية والديمقراطية.

وقال سالم الجوابرة الذي يعمل قصاباً في منطقة المحطة في درعا: "التجار يفتحون متاجرهم في ظل التهديد بالقوة. لقد حطمت قوات الأمن المحال الليلة الماضية وحذرت أي شخص لا يفتح متجره من أنه سيجد رجل أمن في المتجر."

وكانت درعا التي تقع في جنوب سوريا مهد الانتفاضة ضد حكم آل الأسد المستمر منذ 41 عاما وعانت بشدة من الحملة الأمنية التي تشنها القوات الموالية للرئيس.

وشلت المدينة بالكامل بسبب الإضراب الذي استمر ثمانية أيام وانتشر إلى مدن كبيرة أخرى من بينها حمص في الشمال الغربي.

وقال ناشطون أن المثابرة في الإضراب أظهرت مدى تصاعد المشاعر المعادية للنظام السوري بعد سبعة أشهر من المظاهرات والعنف المضاد.

وقال مأمون أبو نبوت المقيم في منطقة المحطة في درعا: "لا يوجد أحد تقريباً لم يعتقل أو يختفي ولده أو شقيقه أو أحد أقربائه.

"لقد أريقت دماء كثيرة ويقول كثيرون أن طريق العودة انقطع حتى سقوط النظام."

وأظهر الإضراب تنامي قوة القيادة السرية الشابة الجديدة التي تدير الاحتجاجات والتي قال سكان أنها فاجأت المسؤولين في درعا بمهاراتها في التنظيم.

وقال شهود عيان أن ملثمين شبان خرجوا إلى الشوارع ليلاً وعلقوا ملصقات وكتبوا لافتات على جدران المدارس والمتاجر والبنايات العامة تأييداً للإضراب وتحذيراً للتجار من فتح محالهم.

وقال أحمد أبا زيد المدرس في مدرسة مهنية: "هناك العديد من التجار الذين شكوا من الإغلاق وقالوا أن مصالحهم تضررت لكنهم لم يستطيعوا إلا الانصياع لدعوات الناشطين لعلمهم أن الإضراب والعصيان المدني، بات السلاح الأنجح للتخلص من النظام الذي يقتلهم."

بينما قال ناشطون أن الإضراب شجع سكان درعا على تصعيد تحديهم إلى ما هو أكثر من الاحتجاجات اليومية وأعمال العصيان المدني.

وقال أحد الناشطين ويطلق على نفسه اسم أبو سليمان: "الإضراب كان له أكثر من معنى. لقد أعطانا الثقة بأننا قادرون على فعل الكثير ما دام الشارع لنا وما دمنا تمكنا من الوصول إلى هذا المستوى من الاحتجاج."

وكان المجلس الوطني السوري قد دعا إلى إضراب عام يوم الأربعاء 2011/10/24 في كافة المحافظات السورية كخطوة أولى باتجاه إعلان العصيان المدني، وذلك لمساندة سكان درعا وحمص ودير الزور وغيرها من المناطق.

ولفت المجلس إلى أن تنفيذ هذا الإضراب في مختلف أرجاء سوريا هو للتعبير عن الاستمرار في "المقاومة السلمية حتى تحقيق النصر".

وأصدر المجلس الوطني بياناً عشية وصول وفد الجامعة العربية، جدد فيه رفض الحوار مع النظام. ودعا البيان إلى توفير حماية دولية للمتظاهرين والسماح بدخول مراقبين دوليين وعرب إلى سوريا.

اعتصام في رام اللّه نصرة لسوريا وللشعب السوري

تحت شعار" الصمت على الجريمة مشاركة فيها" ينظم مجموعة من الشباب في رام اللّه اعتصاما لنصرة ثورة الشعب العربي السوري الحر.

ويقول الشباب في الصفحة المخصصة للاعتصام على موقع الفيسبوك:

" يا اهلنا الكرام ...

لقد عرف شعبنا الفلسطيني عبر عشرات السنوات تحت الاحتلال طعم الحديد والنار، وعرف يد القمع المجرمة، وعرف انتهاك الحق والحرية والحياة. لذا، فإن آخر ما يمكن أن يسمح به شعبنا هو أن تُرتكب الجرائم بحق أشقائنا تحت غطاء الممانعة ومقاومة إسرائيل، أو أن ترتكب الجرائم باسمنا. وإن من باع الجولان ومن اغتصب الحرية والكرامة من أهلها لا يمكن أن يهبها لفلسطين.

ها هي ثورة أخوتنا العرب السوريين تدخل شهرها السابع بوتيرة متصاعدة من النضال والكفاح لأجل إسقاط النظام وتحقيق الحرية والديمقراطية وكافة الحقوق السياسية والاجتماعية للشعب السوري رغم كل أساليب القمع الوحشية والنازية التي استخدمت فيها كل الآلات العسكرية الثقيلة ضد شعب أعزل ذنبه الوحيد أنه رفض الذل والمهانة والاستبداد.

لقد عرف الشعب السوري من درعا إلى حلب طريقه، ولم يعد التلّعثم بشأن الثورة السورية شرعياً أمام ما تشهده سوريا من جرائم وحشية بحق الثوّار المدنيين يشهد عليها دم الطفل حمزة الخطيب الذي استشهد تحت التعذيب في أقبية سجون النظام، وتشهد عليها حنجرة الشهيد ابراهيم القاشوش التي انتزعت بعد ذبحه، وآلاف الشهداء والجرحى والمعتقلين والمهجرين. وفي هذه اللحظات المصيرية التي ترى فيها أمتنا فجر الكرامة والنهضة، فجر الكبرياء القومي، لا يمكننا، نحن أبناء وبنات فلسطين، إلا أن ننحاز بالكامل إلى نضال الشعوب لأجل حريّتها وكرامتها وحقوقها؛ لذات الأهداف السامية التي لأجلها يناضل شعبنا منذ النكبة.

انطلاقاً مما سبق ارتأينا ضرورة تنظيم هذا الاعتصام، وقد تم تداول الفكرة بين مجموعة من المبادرين لا يجمعهم سوى الاستغراب من الصمت والشعور بالخجل بأن يكون حدث بحجم ما يحصل في سوريا وقتل بمثل القتل الحاصل لدى جيراننا وأشقائنا وأبناء جلدتنا، دون أن ترتفع لدينا أصوات تدين الجريمة وتتضامن مع الضحايا, وصرخة ضد القتل وغسيل الوجه من عار الصمت الذي نرفض أن يبقى على وجه مجتمعنا الفلسطيني بشكل خاص والعربي بشكل عام والإنساني بمستوى أكبر.

• "إننا نعتصم من أجل كرامة سوريا والسوريين، من أجل الحرية والكرامة والحقوق الإنسانية". "سوريا الديمقراطية تساوي سوريا الصامدة المقاومة" و"لا مقاومة وصمود تبرر قتل المدنيين الأبرياء" و "الصمت على الجريمة مشاركة بها".

• ننحاز مع ثورة تعيد لسوريا مجدها وعراقتها، بعد أن أصبحت ملكاً لعائلة- هكذا تصنع التنمية والنهضة.

• ننحاز مع ثورة تصقل الهوية العربية لسوريا وتعيد الانتماء إلى الوطن، لا إلى الأشخاص- هكذا نسترد كرامةً تُحَرِرُ وطناً مغتصباً.

• ننحاز مع ثورة تقتلع بذور الطائفية المفتعلة- هكذا يحفظ الشعب سيادته.

• نستنكر عدوان النظام السوري النازي على الشعب السوري وعلى شعبنا الفلسطيني في سوريا وندعو منظمة التحرير الفلسطينية وكافة الدول العربية والهيئات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان وبرلمانات العالم الحر بذل قصارى جهودها لوقف هذا الاعتداء الوحشي.

• نرفض أن تكون القضية الفلسطينية العادلة ورقة توت يستر بها النظام السوري عورته.

• ندعو كل الفصائل الفلسطينية للانحياز للثورة السورية الحرة والاستغناء عن المصالح الحزبية الضيقة وعدم مساندة النظام السوري لأنهم سيكونون شركاء معه في كل قطرة دم سالت من أبناء إخوتنا السوريين الأحرار.

• ندعو الصليب الأحمر وجمعيات حقوق الإنسان للتدخل للإفراج عن آلاف المعتقلين السوريين ومئات المعتقلين الفلسطينيين في سجون وأقبية النظام السوري.

هذه هي شعاراتنا التي سترفع في الاعتصام المقرر بدئه اعتباراً من الساعة السابعة مساءً حتى الساعة الثامنة مساءً وذلك يوم الأحد 2011/10/30 في رام اللّه - دوار المنارة ."

شهادة: كيف يموت الأطفال في سيارات الإسعاف في سوريا على الحواجز

نشر مدون سوري شهادته على صفحات الفيس بوك عن توقيف سيارة للهلال الأحمر تحمل طفلاً جريحاً حتى وفاته، وبحسب ما ذكر المدون فإن الحادثة جرت عند دوار المهندسين في حمص التي تتعرض لاجتياح قوات الجيش والأمن والشبيحة منذ شهور. وهنا نص الشهادة:

"لم أستطع الاحتفاظ بهذا الموقف في داخلي لأنه أقسى من قدرتي على تحمله وعل صوتي يصل لمن صمت آذانهم عن ما يجري في وطني الجريح.

كنت أهم بإيصال اثنين من أصدقائي مساء البارحة فأوقفنا حاجز دوار المهندسين، اقترب منا عنصران و طلبا هوياتنا، أعطيناهما الهويات و طلب أحدهم مني فتح صندوق السيارة. نزلت لفتحه وانتبهت لوجود سيارة الهلال الأحمر على الجهة المقابلة من الحاجز وحولها مجموعة من العناصر يقومون بتفتيشها وكانت السيارة متوقفة وأضواء إنذارها مطفأة وأحد المتطوعين يقف مع العناصر أثناء التفتيش.

فتحت حقيبة سيارتي وقام العنصر بتفتيشها ثم أغلقها و سلمني الهوية، وفي هذه اللحظة انطلقت سيارة الهلال مسرعة وأشعلت ضوء الإشارة وأطلقت صفارتها، فتلفت العنصر الذي فتشني نحوها وهي تبتعد و قال: "هه، ولك خلص مات الولد، على شو مستعجل".

صدمتني هذه العبارة وأنا اركب سيارتي فتوقفت وقلت له: "هل يوجد جريح في هذه السيارة"، فقال: "نعم".. "وهل هو طفل"، "نعم".. "وكيف بتوقفو سيارة فيها جريح على الحاجز ما حرام عليكم." فقال العنصر: "وليش لحتى نمشيها وبركي فيها أسلحة"، فقلت له بعصبية: "سيارة الهلال الأحمر فيها أسلحة، لا حول و لا قوة إلا باللّه، راحت البلد."

ركبت بسيارتي وانطلقت وفوضى من المشاعر تجول برأسي. التفت لأصدقائي وأخبرتهم عما جرى. عم جو من الحزن وسرنا في طريقنا وكأننا لم نمر منذ لحظات بكارثة إنسانية حقيقية.

حتى نحن ربما بدأنا نعتاد على الانحلال الأخلاقي الإنساني.

اليوم اتصلت بأحد أصدقائي المسعفين لأستفسر وعلمت أن الطفل لم يصل للمشفى حياً."

صحفي بريطاني ينقل صرخات المعتقلين السوريين للعالم

أجرت صحيفة "ديلي تلجراف" البريطانية يوم الأربعاء حواراً مع صحفي بريطاني اعتقل في سوريا الأسبوع الماضي.

وتحت عنوان "بريطاني يشهد التعذيب في سجون سوريا" قالت الصحيفة: "إن شين مكاليستر اعتقل في مقهى بدمشق الأسبوع الماضي وهو يقوم بتصوير تقرير سري لقناة الأخبار تشانل فور."

وتحدث مكاليستر عن قصة اعتقاله قائلاً إنه اقتيد معصوب العينين إلى أحد السجون في العاصمة السورية، حيث كان محتجزاً مع نشطاء مناهضين للحكومة، ثم أطلق سراحه بعد خمسة أيام.

وكشف مكاليستر الطريقة التي يتم بها التعامل مع المعارضة من قبل السلطات، في الاحتجاجات ضد الرئيس بشار الأسد قائلاً: "وضعت على مقعد في غرفة فارغة وحدي، وكنت أسمع خارجاً الضرب في غرفة مجاورة، والصفع والنحيب لأناس كانوا يصرخون وهم يضربون".

وتابع قائلاً:" إن سماع أصوات الضرب والتعذيب جعلني أرتعش. لقد سمعت أصواتاً لم أسمعها أبداً من قبل. لقد رأيت من قبل أشخاصاً يموتون، ولكن هذا الصوت، صرخة رجل، لا يوجد شيء مثله".

ونقل الصحفي عن أهالي حمص قولهم "كل ما نحتاج إليه هو المساعدة. نحن بحاجة إلى تدخل لحماية المدنيين" داعياً إلى اتخاذ أي إجراء من شأنه تحريك الأمور إلى الأمام، لأن ثوار سوريا يقتلون كل يوم.

الإضراب في درعا

سوريتنا

لا مقدمات تستطيع أن تصف ذلك الصمت المدّقع في الشوارع والحواري والأزقة، ثِقل الأنفاس وهي تتسارع أثناء المرور أمام المحلات التي قطعت باب رزقها طواعية واختياراً في سبيل مطلب واحد هو الحرية والإنعتاق؛ لا حروف تصف الحيرة التيً تعتلي وجوه الأمن والشبّيحة وهم يمسكون رشاشاتهم ويشهرونها نحو العدم.. أملاً في اقتناص الهواء.

أسبوعٌ أو أكثر مضى على الإضراب الذي عمّ محافظة درعا. تبدو المدينة مدينة أشباح، خاويةً على عروشها. حيرةٌ مذهلة تعتريك وأنت تراقبُ ذلك المشهد الصامت الذي يوحي بانكفاء الحياة وتلاشيها؛ لكنّه بنفس الوقت يخفي أملاً حقيقياً بأن الحياة مستمرة. تتنكر ربما! تتخفى! من أجل شيءٍ واحدٍ هو نجاح الثورة واستمرارها. ووراء الستائرَ والأبواب والنوافذ يفاجئك الناس. الحياة مستمرة بكل شغف، والحديث الأوحد هو الإضراب وكيفية إنجاحه، مع دعاء الأمهات المستمر وغليان الشباب الذي يطوف كلَ يوم على شكل مظاهراتٍ مسائية تؤكد أنّ الحرية لم تعد مطلباً، إذّها حقيقة يومية تعاش بكل تفاصيلها.

وتحتَ أزيز الرصاص الذي يرسم شكلَ الصباحات الموحشة في المدينة تولد الثورة بسلميتها من جديد. الجميع قرّر أن يُغلق محلاته احتجاجاً على الممارسات الأمنية والاعتقالات المتواصلة في قرى وبلدات حوران. ويأتي هذا الإضراب وسط حديث الكثيرين عن أنّ أساليب الثورة السلمية قد انتهت وأنّ الثورة تشق طريقها نحو التسلح. لكنّ الإضراب يُثبت من جديد أنّ الثورة قادرة على إبتكار أساليب جديدة للحفاظ على سلميتها. ومن جهةٍ أخرى يبدو أنّ سلمية الثورة لا تتعارض مع تسلّحها. أنت في درعا تشهد كلّ يوم اشتباكاتٍ طاحنة بين أفراد من الجيش السوري المنشق وبين قوات الأمن التي تحتل المدينة وتقطع أوصالها إلى أشلاء. وهذا ما يفتح جدالاً واسعاً حول الدمج بين الطريقتين، وفق تجارب جديدة يتحدث الناس عنها في درعا وحمص، مفادها أنّ استخدام السلاح لحماية المتظاهرين والمظاهرات هو الحل الأمثل في مواجهة القمع الشديد من قبل الأمن.

استطاع الإضراب أن يشلَّ الأمن ويفقده السيطرة الأمنية على المحافظة، فحاول الأمن أن يكسره بشتى الوسائل باعثاً أفراداً منه لكي يهددوا أصحاب المحلات التجارية لوقف الإضراب، ومن ثمّ قام بكسر وخلع بعض المحلات التجارية في محاولة لترهيب الأهالي، إلا أنّه لم يفلح في ثني الناس عن مواصلة الإضراب. ولقد شمل الإضراب جميع أشكال الحياة. المحلات التجارية، الوظائف الرسمية، المطاعم، حركة السير، المدارس...

وفي حديثٍ مع أحد أعضاء تنسيقية الثورة في درعا بيّن فيه أنّ الإضراب لم يكن مخططاً له بشكل فعلي لكنه بدأ بتوافق شعبي، ممّا يُؤكد تشبث الناس بسلمية الثورة بالرغم من كل أشكال القمع والاعتقالات التي تحدث في المحافظة. ويروي عضو التنسيقية كيفية بدء الإضراب قائلاً: لقد بدأ بعض أصحاب المحلات التجارية بالإضراب بشكل غير مبيت، ومن ثم قام العديد من أصحاب المحلاتِ الأخرى بالتضامن معهم، هذا ما أدى إلى التفكير بشكلٍ حقيقي بالإعلان عن إضراب شامل يعمّ جميع أنحاء المحافظة. ويضيف أن هذا الإضراب ليس الأول من نوعه في المحافظة، فمنذ عدة أشهر قامت المدينة بإضراب شمل جميع المحلات التجارية. وقد نوّه إلى أنّ الإضراب ليس الوسيلة الوحيدة في الحراك السلمي للثورة لكنها من الممكن أن تكون الأخيرة إذا لم تشمل جميع المدن السورية في طريق إلى العصيان المدني.

الإضراب في درعا مستمر تزامناً مع المظاهرات التي تخرج كلّ يوم في مختلف أنحاء المحافظة، والتي لم تعد تقتصر على الرجال بل تشارك فيها النساء، حيث تنظم مظاهرات نسائية وأخرى للصبيان والأطفال ليعبّر الجميع فيها عن رفض قاطع لبقاء الرئيس ونظامه الأمني، وسط مشهدٍ دمويٍ يعمّ أنحاء سوريا يثبت فيها السوريون أن لديهم القدرة لمواجهة هذا النظام العاتي مهما طال الزمن ومهما تعددت الوسائل والخيارات.

في اختلاف الوقائع السورية:
بين اللغة الرسمية ولغة التقية

■ موريس عايق

من أكثر الأمور التي تلفت الانتباه إلى الحدث السوري، تناقض الروايات المذهل. لا يقلل من قيمة ذلك التناقض أنّ جانباً منه يعود إلى «بروباغندا» تتشدق بها وسائل الإعلام الرسمية وشبه الرسمية للنظام السوري، ما دام هناك قسم كبير من السوريين المقتنعين تماما بها، رغم تفاهتها، بل على الأرجح أنّهم سيكونون مقتنعين بكل ما تقوله، مهما بدا عبثياً وساذجاً. يعني ذلك أنّ وسائل الإعلام السورية لا تكذب من باب خلط الحابل بالنابل، وخلق حالة من التشويش وحسب، بل أيضاً - وهو الأهم في هذا السياق - إنّها تقول ما سيصدقه قسم من الناس، وربما ما قد تبنوه في ما بينهم، قبل أن تبدأ هي نفسها بالترويج له. قد تكون التجربة المعيشة هي الأفضل، للدلالة على واقع الفصام الذي يعيشه السوريون من الاكتفاء بتناول التناقض بين وسائل الإعلام. تتكل تلك التجربة على «شهود العيان». ليس شهود العيان الذين نراهم على الفضائيات، بل أصدقائي ومعارفي من مدن سورية مختلفة (حمص، اللاذقية، جسر الشغور، حلب ودمشق وغيرها) ومتنوعة، تناسب حياتي في مدن سوريا مختلفة، قبل مغادرتها منذ عدة سنوات. لا أنكر صدمتي عند سماع القصص التي يروونها لما يحصل في سوريا، فالشعور الأول الذي انتابني أنّهم لا يعيشون في البلد ذاته، بل في بلدين مختلفين تماماً.

في روايات الفئة الأولى، تحضر العصابات المسلحة، والمسلحون والقناصة المجهولون الذين يعتدون على الجميع، بمن فيهم الشرطة والجيش. تحضر أيضاً الهتافات الطائفية ضد العلويين والمسيحيين، وقصص التهديد وإجبار الآخرين على المشاركة في التظاهرات، أو على الأقل الاكتفاء بإطلاق الشعارات المناهضة للنظام. التظاهرات - كما يروون - أصبحت في غالبيتها مشكلة من زعران يحملون عصياً وسكاكين وآلات حادة، يخربون ويكسرون ويروعون الناس.

لدى الفئة الثانية، التظاهرات سلمية عموماً، والشعارات الطائفية ظاهرة هامشية ومحصورة، وعادة ما تأتي إثر استفزاز. أما العصابات المسلحة والتخريب، فهما من أعمال الشبيحة. أحدهم روى كيف أنّه بعد تفريق تظاهرة في حمص، أتت سيارة بحماية أمنية لينزل منها شبيحة ملتحون، بدأوا بالتخريب والتكسير، وصُوّروا باعتبارهم جزءاً من المتظاهرين. من المؤكد أنّ على المرء أن يراعي مسائل متنوعة، ففي النهاية لا يروي «شهود العيان» كل ما رأوه بالفعل، بل جزءاً منه، وغالباً تصلهم الروايات من خلال الشائعات والقصص التي يتناقلها المعارف، وكالعادة تكثر الشائعات مع قلّة توافر المعلومات من مصادر إعلامية موجودة على الأرض. كذلك إنّ الكثير من «شهود العيان» حبيس منزله، بفعل الرصاص المنهمر والعشوائي في الأحياء. يفتقر السوريون أيضاً، في هذه الظروف، إلى التروي والتحقق مما يسمعونه. فهم في النهاية لا يعيشون في ظل ظروف طبيعية، بل تحت الرصاص والشعور بعدم الأمان والخوف، وهذه أمور يجب أن تؤخذ في الحسبان. غير أنّ ذلك لا يمنع من أن نرى أنّ السوريين لا يعيشون واقعاً مشتركاً، بل واقعين مختلفين، وحتى متناقضين، أو «واقعين متوازيين»، كما يقول الباحث عامر محسن. واقعان لا يكتفيان بالاختلاف في «سرديتهما»، بل حتى - وهو الأهم - في أحداثهما ووقائعهما المباشرة التي يفترض أن تكون جزءاً من التجربة المشتركة للسوريين.

هيمنة غير منجزة

ليست هذه الحال غريبة على السوريين، فقد اعتادوا التعبير عن أنفسهم عبر لغتين مختلفتين، بل متناقضتين. الأولى لغة رسمية يستخدمونها في الشأن العام والعلني، تتحدث عن التعايش والوحدة الوطنية والقومية العربية والصمود والتصدي، وقد ترفدها مفاهيم تتقدم أو تتراجع حسب السياق التاريخي، كالاشتراكية والتقدمية. تقابل تلك اللغة، «لغات» أخرى تنزوي بعيداً في المجالس الخاصة، وضمن المحيط الاجتماعي المباشر، يعبّرون من خلالها عن ذواتهم وعلاقاتهم وتصورهم للعالم.

منذ تسلّم الأسد الأب للسلطة في 1970، أبعد السوريون عن السياسة، وأجبروا على الانسحاب من المجال العام، باعتباره مجالاً يتحاورون من خلاله في قضايا عامة، ويوحّدون تجربتهم المعيشة، ويخلقون من خلاله لغة ورموزاً وطنية مشتركة، توحد تجربتهم السياسية وتمسي قاعدة لهوية وطنية يتعرفون إلى أنفسهم من خلالها. قابل افتقار السوريين لـ«مجال عام» فشل الدولة (أو إفشالها) في مهمتها بـ«بناء أمة». فمع تحول الهيمنة الطبقية في السبعينيات، والصراع الدموي مع الإخوان المسلمين، ضعفت الدولة التي تحوّلت إلى نظام. فعلى المستوى الثقافي والتعليمي، أنجزت الدولة تسوية مع المثقفين التقليديين من رجال الدين، معززة هيمنتهم وسطوتهم على جماهيرهم، لترويج ثقافة طقوسية تعبدية لا تتعاطى السياسة، لكنّها بالمقابل تعزز الهويات المذهبية، فتزايدت أعداد الجوامع والمدارس القرآنية تزايداً هائلاً في سوريا (هناك ما يقارب عشرة آلاف جامع ومسجد، وحسب التقديرات، نحو أربعة ملايين شخص يحضرون صلاة الجمعة).

على المستوى الإقتصادي، انسحبت الدولة تدريجاً، معززة من دور القطاع الخاص المكون من بورجوازية «قديمة»، دمشقية بخاصة، أخذت نصيبها في المجال التجاري والعقاري، و«بورجوازيات» مستجدة تُبنى عبر التسلط على الدولة وعلاقات الفساد والقرابة. عزز كل ذلك الروابط الأهلية والمحلية التي يلجأ إليها الأفراد لغرض الحماية والأمان الاقتصادي، تعويضاً عن دور متراجع للدولة. وليس عبثاً أن تكون درعا (وحوران عموماً) أحد معاقل الانتفاضة، وهي منطقة مدنية تضررت كثيراً بالسياسات الاقتصادية في العقد الأخير، ما دعم من دور العائلات الممتدة التي وفّرت حماية اقتصادية وحتى أمنية لأبنائها، في مواجهة أوضاع اقتصادية متراجعة وعسف سلطة جائرة، وسلطات محلية أشد فساداً وبطشاً.

انسحاب الدولة وفشلها في تأسيس الجماعة الوطنية، وتماهيها

أكثر مع جهاز للقمع (اختزالها بنحو متزايد في وظيفتها القمعية)، وهو ما يسميه عادة المعلقون السوريون بانتصار النظام على الدولة، هو جذر لتلك الازدواجية اللغوية لدى السوريين. فاللغة الرسمية هي لغة تمثيلية، ولم تسع إلى تأدية دور اللغة الشمولية التي تحاول أن تعيد قولبة المجتمع والمواطن على الصورة التي تتمناها النخبة لهما، فهذا الطموح البعثي انتهى عملياً مع صلاح جديد. اكتفت اللغة الرسمية بدور تمثيلي، تحتكر الحضور في الشأن العام وتدل على طرد المواطنين لمصلحة الجمهور المطبل والمزمر. لغة لا يصدقها أحد، حتى منتجو مفرداتها أنفسهم، ولكنّها اللغة الوحيدة التي تستخدم للحديث العلني.

اللغات الأخرى المنفية إلى المجال الخاص (وهي ما يسميه التقليد الإسلامي على نحو معبّر التقية، أي التصريح باعتقاد مناف لما يبطنه المرء اتقاءً لشر السلطة، ولهذا سأسميها بلغات التقية من دون الحمولة المذهبية للمفهوم) أي «لغات التقية» تمسي في المقابل أكثر صدقاً للسوريين للتعبير عن أنفسهم وتجاربهم. وقد نحت لغات التقية تلك، بتزايد، لتصبح لغات «هوية طائفية»، وخاصة بعد الصدام مع حركة الإخوان المسلمين، وتزايد دور علاقات القرابة في بنية السلطة التي سعت أيضاً من جانبها إلى تعزيز الهويات الطائفية لتعزيز سطوتها وادعاءاتها بحماية الأقليات وتحفيز عصبيات طائفية متنافرة ومتعادية، وأيضاً لتستعين فيها لحماية سلطتها.

كل من هاتين اللغتين قدمت «تصوّرها» عن العالم والهوية والتاريخ، فكثيراً ما كانت أحداث

تؤدي دوراً مركزياً لدى إحدى الجماعات من خلال لغتها الخاصة، لا تحضر أصلاً في اللغة الرسمية، أو أنّ أبطالاً معتمدين في اللغة الرسمية ملعونون في لغة خاصة ما، أو أن ترد الأحداث وروداً متنافراً. فعلى سبيل المثال، اعتادت جدتي (والعديد من مسيحيي حلب من جيل جدتي) على روايات قصص هبّات حلب باعتبارها «قاموا الإسلام على المسيحية». لا توجد هبّة في حلب على الانفصال، أو تلك الناصرية على حزب البعث في 1963، كلها تنتفي لمصلحة ثيمة واحدة «قاموا الإسلام على المسيحية»، ضمن سردية للقمع والاضطهاد والمعاناة للمسيحيين.

غير أنّ هاتين اللغتين كثيراً ما تداخلتا، وإن بطريقة موارية، فكثير من النقاشات السياسية امتلكت ميزة قد يعدمها المرء خارج سوريا. فالنقاش يبدأ على موضوع له علاقة بالفساد مثلاً، لينتهي بمشادة من نوع «أنت سنّي ولهذا تعارض النظام». قد لا يفهم الآخرون مثل تلك القفزات، لكنّها لدى السوريين مفهومة، فالنقاش الذي يبدأ من خلال لغة رسمية يكون مشبع بإيماءات وإشارات تحيل إلى «لغات» أخرى.

من الضروري التنبيه إلى أنّه ليس كل السوريين يعرّفون أنفسهم بلغة طائفية، بل كثيرون لا يعيرونها اهتماماً، ويعرّفون أنفسهم من خلال هويات سياسية شيوعية أو قومية، أو غيرها. لكن هذا التعايش غير المعلن، هو ما يثير اللغط والطرافة في كثير من الأحيان. «لغات التقية» التي تعزز موقعها في عهد التصحيح، خلقت سرديات لهويات طائفية متخيلة، كانت تعبيراً عن عدم قدرة الدولة على بناء أمة تحقق هيمنة لهوية وطنية، وعبرت كذلك عن جوهر الممارسة السياسية في سوريا القائمة على تذرير الشعب في عصبيات محلية ودنيا، يتوجس بعضها من بعض، ويستخدم النظام جميعها.

تصدع الخطاب الرسمي

ما حصل في سوريا، منذ بداية الانتفاضة، هو انهيار «اللغة الرسمية» التي تواطأ السوريون عليها، وهم مدركون لنفاقها. في المقابل، صعدت «لغات التقية» من الجميع، ما سبب هذا التناقض في الروايات. فالأحداث تصاغ بالإحالة على خبرات وتوقعات، تنهل من «لغات التقية» التي لم يستخدمها السوريون علانية، مقتصرين عليها في جلساتهم الخاصة والموثوقة. لم يكن السوريون العاديون أول من استنفد هذه الخطابات، بل النظام السوري نفسه الذي تصدعت لغته الرسمية سريعاً، مع أول تحدٍّ لها، فكان أن استدعى الحديث عن «الفتنة الطائفية» و«الإمارات السلفية»، وهو ما كان محرماً على لغته الرسمية التي تصر على الوحدة الوطنية والتناغم بين مكونات الشعب السوري. فقد كانت الطوائف «تابو»، لا تذكر إلا في سياق الدلالة على وحدة الشعب وتعايشه. هكذا، ظهر «شبيحة النظام» الجوالون بشائعاتهم في الشوارع، عن استعدادات لأحياء من طائفة معينة لغزو أحياء تعود إلى طائفة أخرى. استنفر النظام عصبيات طائفية ليضعها في مواجهة بعضها لبعض.

لم يكن ما فعله النظام السوري غريباً أو جديداً، فلم يختلف عما فعلته الأنظمة العربية في مواجهة انتفاضاتها. اختلافه كان في الكمّ لا في الكيف، فالمؤامرة حضرت هنا وفي ميدان التحرير (من يذكر قضية المصري تامر غمرة وشخصيته المختلقة). السلفيون والإخوان كانوا جزءاً من عدة التخويف، وكذلك البلطجية (الشبيحة في النسخة السورية) الذين هددوا الأمن وأثاروا الرعب، وحتى الوصول إلى شفا حرب أهلية، لابتزاز الشعب بالأمن، مقابل تخليه عن مطلب الحرية. بل إنّ الإعلام الرسمي وشبه الرسمي، ضرب رقماً قياسياً في انعدام المنطق والدجل، فحضر علم إسرائيل مرفرفاً على إمارة سلفية في حمص. حتى اللبنانيون الذين أحضروا لتعزيز رواية النظام لما يحصل، زادوا الطين بلّة، فكان رفيق نصر اللّه في لقائه على الفضائية السورية (في 28 آذار 2011) نموذجاً للمثل القائل «احترنا يا أقرع من وين نمشطك». فهو اكتشف أنّ مبارك جزء من المؤامرة الأميركية، والثورة عليه أيضاً جزء من المؤامرة، و«حلها إذا فيك تحلها».

الكذب المسرف والوقح للإعلام الرسمي، لم يكن بغرض إثارة البلبة وتضييع الحقيقة وحسب، بل استنفار تلك الهويات المضمرة وغير المعلنة. فمن صدّق قناة «الدنيا» لم يفعل هذا بفعل «بروباغندا النظام و«غسل المخ»، بل لأنّها هي من استلهم لغته السرية، وأجج مخاوفه التي تجد جذورها في «هويته». «الدنيا» قالت ما سيصدقه الناس، ولم تدفعهم إلى تصديقها.

سياسات الخوف

ما يميّز السياسة أنّها ممارسة عقلانية، يخوضها مواطنون لتحقيق الأفضل، وهي تحيل إلى المواطنة والأمل. بالمقابل، اعتمدت الفاشيات على الخوف (أو حتى سياسات اليمين الحالي كما بيّن باديو في تحليل للساركوزية)، فهو يحرك غريزة البقاء، ويستنفر الجماعة للدفاع عن «نحن» ضد «هم». ودوماً تكون الحدود المخترعة بين «نحن» و«هم» واضحة وقاطعة. فهم «السود» مثلاً، أو «المسلمون»، أما في سوريا، فهم «الطوائف الأخرى» وغالباً «السنّة».

تحتاج الجماعات إلى الحماية، ومَن أفضل من النظام للدفاع عنا، عن «المسيحيين» أو «العلويين»، أو غيرهم؟ وبطبيعة الحال، إنّ الخوف يستثير أقوى المشاعر وأعنفها، ويختزل العالم في أحكامه القاطعة والمحكمة. هكذا، يصبح «العلويون» طائفة النظام، ومنهم من دفع أقسى الأكلاف في مواجهته، وهؤلاء لم يعرفوا ولم يروا مواجهتهم من خلال هوية علوية، بل عبر هويات وطنية وسياسية (شيوعية في غالبيتها)، حتى قيل إنّه بين كل معتقل سياسي ومعتقل سياسي، يوجد معتقل في بسنادا (من قرى اللاذقية).

الخوف هو ما يزيد من وطأة هذه الروايات المتعددة والمتنافرة، فالسوريون لا يكتفون بالنظر إلى ما يحصل من خلال أفق التوقع الناتج من هوياتهم المتخيلة السرية دوماً والمعلنة حالياً، بل أيضاً من خلال خوفهم الذي يعززه النظام بواقع الرصاص والشبيحة والموت المتجول. خوف يحيل كلّ «سني» إلى مشروع تكفيري يحمل في جيبه فتوى ابن تيمية، أو يجعل من «العلوي» رجل استخبارات. لا يفسح الخوف مكاناً لتمايزات يحفل بها الواقع، وفي الواقع لا شيء اسمه علوي أو سنّي. ما يراه السوريون هو خوفهم، وليس ما يحصل، يضخمون شعارات طائفية وهي موجودة وحقيقية، لكنّها ليست كل الواقع، بل ليست إلا جزءاً نزيراً منه، ويتعامون بالمقابل عن شعارات أخرى تدعو للوحدة الوطنية. يكتفون بالأولى كما يكتفون برواية السلطة عن عصابات مسلحة تفرخ كالفطر (ونحن الذين امتلكنا استخبارات لطالما أثارت حسد الآخرين وحقدنا). لا يهم ما يكونه الإنسان الواقعي، بل مدى توافقه مع صورته المتخيلة، وما يقولونه عنه، فإنّ توافقا كان تأكيداً لـ«سرديتنا»، وإن اختلفا فإنّه يمارس التقية. هنا يكمن إنجاز النظام السوري في تعزيزه خوفاً طائفياً مستديماً ومهيمناً في نفوس السوريين، والطائفية ليست انتماءً مذهبياً، بل «مشروع سياسي» رعته السياسة وأنتجته.

استعادة الساحة العامة

فشل الهيمنة، تصدع اللغة الرسمية، وخروج «لغات التقية» المتداخلة مع الخوف إلى العلن، هو ما يفسر هذا التنافر في الوقائع السورية. لكن كيف يمكن حل هذا التناقض؟

مصر الثورة تقدم طريقاً لحل المسألة، فالمصريون تقدموا في بناء أمتهم، بعدما استعادوا ساحتهم العامة (ميدان التحرير) عنوة من النظام. حضر الجميع إلى الميدان وشاركوا، أخرجوا أفضل ما فيهم وأسوأ ما فيهم، بينما الأنظمة العربية اعتادت حصراً على إخراج أسوأ ما فينا.

في الساحة العامة، تتبلور هوية وطنية لا يمكن تعريفها إلا بلغة السياسة والنقاش العام المفتوح للجميع، الأمر الذي يدفعهم إلى إعادة صياغة مطالبهم وقضاياهم، بلغة يفهمهما الآخرون، ويلتقون عليها. فالجماعة السياسية لن تكسب دعماً إن هي اقتصرت على مخاوفها واحتياجاتها التي لا يرى الآخرون أنفسهم فيها. ما تقدمه الساحة العامة، هو توحيد التجربة السياسية وتعلم النظر من زاوية الآخرين، أي أن نأخذ مكانهم. في البداية، ستتقدم هوياتنا المحلية التي اعتدنا عليها، لكن في ما بعد، سيبقى ما هو مشترك وعمومي. الذين سيصرون على محليتهم وتطرفهم، سيُدفعون مع الوقت (وأيضاً مع الكثير من التضحيات والنكسات والتراجعات) إلى الأطراف. الحجة المعتادة عن «القناع السياسي» الذي سيدعيه الإسلاميون حتى يصلوا إلى مآربهم لن تكون ذات جدوى، و«القناع السياسي» نفسه، سيتحوّل مع الوقت والتسويات المستمرة، إلى الوجه الحقيقي لصاحبه. على العكس من ذلك، إنّ «التقية» السياسية هي نتاج تغييب السياسة وإقصائها.

إنّ التغلب على الازدواجية، كما على الطائفية، يكون في استعادة المجال العام وتحريره، وأن ينقل السوريون إليه هواجسهم ورغباتهم وطموحاتهم. المشاركة في التغيير، هي خير ضمانة لأن يكون لهم رأي فيه. هو رهان، ولكنّه يستحق أن يعاش. في المقابل، الانتظار والتسليم بذريعة الطائفية والفتنة، سيؤديان إلى الطائفية والفتنة، ولطالما كان إقصاء السوريين عن السياسة والنقاش العام، الطريق المؤدي إلى المحذور الطائفي، فتتحوّل الطائفية من هوية متخيلة إلى واقع.

كاتب عربي – عن جريدة الأخبار اللبنانية

الثورة السلمية وتوافق الأضداد

■ ي.م

خاص | سوريتنا

يثير مصطلح الثورة السلمية عدداً من الأسئلة لعل أبرزها هو الكيفية التي اجتمع فيها مصطلح "ثورة" بكل ما يحمله من معاني الرفض والتمرد والخروج عن السائد، ومصطلح "سلمية" بما يحمله من وداعة وسلام واستكانة في بعض الأحيان.

ويعود السبب في ذلك إلى أن تاريخ الثورات في العالم كان مصبوغاً باللون الأحمر، حتى لجأ الشعراء والأدباء إلى اعتبار الحرية حمراء نظراً للتضحيات الجسيمة التي تقدمها الشعوب والجماهير في سبيل حريتها، ولأن التاريخ بالفعل أثبت أن التغيير اقترن على الدوام بالعنف والصدام والفوضى والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

أما السلمية أو اللاعنف، فلعل من أبرز من نادى بها وطبقها بالفعل هو المهاتما غاندي الذي أسس فلسفة المقاومة اللاعنفية في الهند ضد الاحتلال البريطاني. ويذكر التاريخ أن الانكليز حاروا بالفعل آنئذ لأنهم واجهوا مقاومة غريبة من نوعها، ومقاومة لم يألفوها من قبل. كان الهنود يخرجون بالآلاف في مسيرات صامتة على الأغلب ويواجهون البنادق الانكليزية بصدورهم العارية ويتساقطون قتلى دون أن يفزع منهم أحد أو حتى يصرخ باستغاثة. كانت شجاعتهم تبهر الانكليز وتجعلهم في حيرة من أمرهم. وبلغ الأمر ذروته عندما قرر الانكليز رفع أسعار الملح في عموم الهند، فما كان من غاندي إلا أن دعا إلى مسيرة جماهيرية كبيرة باتجاه البحر وأن يصحب الناس معهم ثياباً إضافية. لم يفهم لا الهنود ولا الانكليز مغزى المسيرة، ولكن الهنود تبعوا غاندي لثقتهم به وبقيادته، فلما وصلوا البحر أوعز غاندي إليهم أن يضعوا الثياب الإضافية في مياه البحر ثم ينتشلوها ويجففوها، وبهذا استطاع استخراج الملح بمئات الكيلوغرامات، فصدم الانكليز واضطروا إلى تخفيض أسعار الملح، وعرفت تلك المسيرة منذ ذلك اليوم بمسيرة الملح.

يعيش السوريون منذ ثمانية أشهر ظروفاً طارئة على حياتهم الرتيبة لم يعهدوها منذ زمن بعيد، فمجرد كلمة مظاهرة تم إسقاطها من القاموس السوري لعقود خلت لما تحمله من دلالات "الاعتراض" حتى ولو كان هذا الاعتراض على أسعار الكتب المدرسية. لم يكن الاعتراض أو مجرد الامتعاض مقبولاً في سوريا، إن ما يأمر به القائد الملهم يعتبر منزلاً، وما يمنحه لنا هو عطاء يستحق عليه المديح والثناء أربعين يوماً بلياليها. أما من ينتقد أو يعترض فهو "معاد لأهداف الثورة" و"ينشر أفكاراً هدامة توهن نفسية الأمة". ضاعت ألوف وألوف من شباب هذا الوطن بين التهجير والاعتقال والاختفاء القسري والقتل لا لشيء إلا لأن بعضهم تجرأ واختلف مع أولي الأمر.

بدا الحراك الشعبي في بداياته من درعا وكأنه حلم، وكانت صورة الجموع الغاضبة وهي تمشي في شوارع المدينة عصية على الفهم أول الأمر، ولا عجب أن كثيراً من السوريين اعتبر في الأمر معجزة ما أو على الأقل حدثاً استثنائياً ولكنه عارض لأن المنظر في حد ذاته لم يره من هم من مواليد ما بعد 1963، حيث نشأ جيل كامل على اتباع الطريق الواحد والرؤية الواحدة. لم يستطع الكثير من الناس وكذلك الأجهزة الأمنية والعسكرية فهم حقيقة ما يجري، رغم أن مطالب الناس آنذاك كانت خدمية وحياتية بحتة، فلم يكن هناك أي ذكر لإسقاط نظام أو تحدي سلطة.

وبالعودة قليلاً إلى الوراء، وانطلاقاً من إحساسهم بالمسؤولية، بادر عدد من وجهاء درعا إلى مقابلة المحافظ والمسؤول عن الأمن الذي كان في غاية الفظاظة ورد عليهم بأقسى عبارات المهانة والاستخفاف ظناً منه بأن ذلك سيكون كفيلاً بردهم على أعقابهم وبأنهم سيعودون إلى منازلهم ومن ثم تسير الأمور كما سارت في خمسين عاماً سبقتها. ولعلنا اليوم حين نتذكر ذلك لا يسعنا على ما يبدو إلا أن نشكره لأنه بذلك دفعهم لإطلاق شرارة الثورة، فلا هو ولا رؤساؤه فهموا التاريخ ولا حركته، ونسوا أن التاريخ لا يمشي في خط مستقيم.

خرج الناس في ذلك اليوم من شهر آذار مطالبين بالإفراج عن أبنائهم ورد الاعتبار لوجهائهم ومندين بالفساد والمحسوبية، وأهل درعا بالإجمال معروفون بالطيبة والمسالمة، غير أن ما نسيه مسؤول الأمن هو أنهم معروفون بالأصالة والنخوة وأنهم لن يقبلوا ضيماً ولا مذلة. خرج أولئك في مظهر مهيب زلزل سوريا حتى أقصى شمالها وشرقها وغربها، وهم بذلك نفثوا الروح في كل السوريين، وكسروا بسلميتهم قيود ونير الاستبداد الذي جثم على صدورهم وصدورنا عقوداً طويلة نسينا خلالها أصواتنا واحمرار وجوهنا الغاضبة.

كنا ولفترات طويلة نقرأ ونسمع عن إبداع الشعب السوري وعن تجارب رائعة لسوريين في الخارج، حتى وصلنا لقناعة أن الوطن أصبح مقبرة للإبداع بدلاً من أن يكون حاضنته. واليوم يثبت السوريون بالفعل إبداعهم بثورتهم التي لا تفتأ تطل علينا أيام الجمع وباقي أيام الأسبوع بعشرات من الأفكار والأساليب المبتكرة والتي على بساطتها تثير الرعب في قلوب أولئك المدججين بالسلاح والعتاد. تكفي بساطة فكرة إخفاء مكبر صوت يعمل بالتحكم عن بعد في حاوية للقمامة وتشغيله لبث أغاني وأهازيج الثورة في أشد الأماكن ازدحاماً، ويكفيك منظر رجال الأمن وشبيحتهم وهم يدورون حول أنفسهم وكأنهم رأوا أشباحاً يريدون القضاء على الصوت الذي يصم آذانهم ويقض مضاجعهم. آمن السوريون اليوم أن من ذاق طعم الحرية لن يرضى بغيرها بديلاً، ولهذا سيكون من غير المستبعد أن تنتشر بعض الفوضى هنا وهناك في مرحلة لاحقة، ولكن من قال أن النظام كان بالأساس "نظاماً"؟ انحدرت هذه الكلمة في زمن البعث من معناها السامي والراقي لتصبح رمزاً للطغيان والعبودية، ولهذا يريد الناس اليوم أن يتمردوا على كل شيء، ولكن ذلك يشبه موج البحر العاتي والذي مهما ارتفع وأحدث بعض الخسائر على الشواطئ فإنه يعود إلى المحيط الواسع الذي يحيا فيه الجميع بسلام وتآلف.

إن تجارب من قبيل إطلاق بالونات هوائية عليها شعارات معادية للنظام، أو إطفاء الأنوار في ساعات محددة، ناهيك عن استخدام بعض الشباب للباذنجان كقنابل وأنابيب التدفئة كصواريخ {وهو ابتكار حمصي بالمناسبة}، لا ينفك السوريون يبهرون العالم بها وبأساليبهم التي تدعو أحياناً للضحك رغم مأساوية معانيها، ولكنها جذوة الحرية التي انقلبت بركاناً لا يهدأ وشعلة ستنير الدرب لأجيال المستقبل لتفخر بما فعله الأجداد في مواجهة الظلم والاستبداد.

إن الدعوة إلى العصيان المدني هي أرقى أنواع الثورة السلمية، وهي تثير جنون النظام وأعوانه لأنها حرب بلا سلاح، وصراخ بلا صوت، ولو فهم الناس هذه الحقيقة لما بقي هذا النظام كل هذه السنوات. لو امتنع الناس عن التوقف لساعات أمام المؤسسات الاستهلاكية للحصول على غرامات من اللحم الفاسد لأسبوع واحد لما استطاع النظام إذلالهم طيلة سنوات الثمانينيات. ولكن حركة التاريخ التي لا تقف عند أي أحد مهما كانت خصوصيته تدور اليوم في سوريا بتسارع يلهث وراءه أنصاره وأعداؤه على حد سواء. وها هي درعا تسبق الجميع إلى الريادة في هذا المجال، وتعيش منذ أكثر من أسبوع إضراباً عاماً بات يقود أجهزة الأمن إلى الجنون. وإذا استطاعت الأغلبية الإضراب ولو ليوم واحد في كل المؤسسات والمحال التجارية والقطاعات الخدمية، فسيذوق النظام عقوبات الشعب هذه المرة، وسيعلم أن سلطة الشعب هي الأعلى لا سلطة البارود. يخرج الناس يومياً وهم يعلمون أنهم سيعودون بدون عشرين أو ثلاثين من أعز أصدقائهم وأقاربهم وإخوانهم، ولكنهم لا يتوانون. ومن كانت لديه شجاعة الموت وهبت له الحياة، ومن كانت كرامته سلاحه لن تخيفه دبابة، فهي من معدن وهو من روح، والمعدن يذوي ولكن الروح خالدة لا تفنى.

من صور الإضراب في المدن السورية (درعا)

الانتخابات التونسية..
أولى ثمرات ديمقراطية الربيع العربي

صوت الشعب التونسي في أول انتخابات تعددية حرة في تاريخه بعد أن أطاحت انتفاضة تونس الشعبية بالرئيس الهارب زين العابدين بن علي. ويختار التونسيون أعضاء المجلس التأسيسي الذي سيناط به وضع دستور جديد للبلاد، وبناء مؤسسات ديمقراطية فيها.

الانتخابات التونسية يشارك فيها أحزاب جديدة إلى جانب الأحزاب الكرتونية التي سيطرت الحياة السياسية في عهد بن علي، حيث ارتفعت أعداد الأحزاب في تونس من 19 حزبًا في السابق إلى 116 حزبًا حاليًا. وتشارك تلك الأحزاب في الانتخابات إما منفردة، أو في إطار تحالفات.

ولأول مرة، تنظم الانتخابات لجنة مستقلة ويشرف عليها مراقبون دوليون من الاتحاد الأوربي. وتجرى الانتخابات وفقًا لنظام التمثيل النسبي؛ حيث تقسم البلاد إلى 33 دائرة انتخابية، بينها 27 في كافة المدن التونسية، وستة للتونسيين في الخارج. والحد الأقصى للمقاعد في كل دائرة عشرة مقاعد من إجمالي مقاعد البرلمان البالغة 217.

ويطرح كل حزب مشارك أو ائتلاف قائمة بمرشحيها، ويصوت الناخبون على القائمة كلها وليس على المرشحين.

وكل 60 ألف صوت تحصل عليها أي قائمة يخولها الحصول على مقعد في الجمعية التأسيسية، وإذا بقيت أي مقاعد في دائرة انتخابية تمنح للقائمة صاحبة ثاني أعلى عدد من الأصوات.

الأحزاب والتحالفات

سجل أكثر من 100 حزب للمشاركة في الانتخابات. وهناك عدد كبير من القوائم الفردية.

ومن أبرز الأحزاب المشاركة في الانتخابات حزب النهضة الإسلامي الذي يتزعمه الشيخ راشد الغنوشي، الذي أسس حركة النهضة في عام 1981م مع مجموعة من المفكرين الإسلاميين، الذين استلهموا فكر جماعة "الإخوان المسلمين". والغنوشي كان من قادة المعارضة التونسية في المنفى، حيث أقام 22 عامًا في لندن خلال عهد بن علي بعدما حظرت السلطات حركته، وسجنت آلافًا من أبنائها. وعاد الغنوشي بعد فرار بن علي ونجاح الثورة.

وكان من المتوقع أن يحوز حزب النهضة على أكبر عدد من المقاعد في هذه الانتخابات، لكنه ليس من الواضح ما إذا كان سيفوز بالأغلبية في ظل معارضة توجهات

علمانية قوية داخل تونس.

كذلك يشارك بالانتخابات الحزب "الديمقراطي التقدمي"، وهو الحزب العلماني الأبرز في السباق الانتخابي، ويقدم نفسه على أنه بديل لحزب النهضة الإسلامي. ومؤسسه السياسي الشهير نجيب الشابي وهو محام قناعاته تنتمي ليسار الوسط، وهو من المعارضة منذ عهد بن علي. وقد تقدم الشابي لترشيح نفسه عام 2009م لمنافسة بن علي في الانتخابات الرئاسية، لكن قانونًا أصدره بن علي لإبعاده عن السباق قضى بعدم أحقيته في الترشح. وعين الشابي وزيرًا للتنمية الجهوية في أول حكومة تسيير أعمال بعد سقوط بن علي، واستقال من منصبه إثر احتجاجات حاشدة أسقطت الحكومة.

وركزت الحملة الانتخابية للحزب الديمقراطي التقدمي على التخويف من حزب النهضة، والتفزيع من تولي إسلاميين الحكم.

وقد سعت الأمين العام للحزب وهي مية الجريبي للتخويف من الإسلاميين، معتبرة أنهم يمثلون اتجاهًا متطرفًا، حيث قالت في تجمع انتخابي: إنها واثقة من أن التونسيين سيصوتون للوسطية وليس للتطرف، وأنه يتعين على تونس حماية شعلة الوسطية.

وحاول الشابي إقامة تحالف مع أحزاب علمانية أخرى؛ للحيلولة دون فوز حزب النهضة بأغلبية مقاعد الجمعية التأسيسية. ولكن الشركاء المحتملين يريدون أن تظل خياراتهم مفتوحة لحين ظهور النتائج.

وإلى جانب ذلك، يشارك حزب "التكتل الديمقراطي من أجل العدل والحريات" وهو حزب اشتراكي أسسه مصطفى بن جعفر (طبيب) في عام 1994م. وكان جعفر ضمن معارضي بن علي الذين لم يغادروا تونس. وحظي حزبه بوضع قانوني في عام 2002م، لكنه ووجه بتضييق وتعتيم إعلامي.

وكذلك، شغل بن جعفر منصب وزير الصحة في أول حكومة تشكلت بعد سقوط بن علي. ولقي احترامًا كبيرًا عندما استقال، معلنًا رفضه وجود وزراء من الحكومة القديمة.

ويعتقد أنه في حال سعى حزب النهضة عقب الانتخابات لتشكيل "ائتلاف موسع" يضم أحزابًا علمانية كبرى، فإن حزب بن جعفر شريك محتمل على الأرجح.

ومن أبرز الائتلافات المشاركة هو "القطب الديمقراطي الحداثي"، وهو يضم بالأساس حزب "التجديد" و"الحزب الاشتراكي اليساري" وحزب "طريق الوسط" و"الحزب الجمهوري".

ويعتبر حزب "التجديد" أقوى مكونات هذا الائتلاف، حيث يرأسه أحمد إبراهيم وهو منبثق عن الحزب الشيوعي. وقد فاز الحزب بثلاثة مقاعد فقط في آخر انتخابات برلمانية أجريت في عهد بن علي؛ نتيجة معوقات من جانب حكومة بن علي. وإبراهيم أستاذ جامعي سابق وكان وزيرًا للتعليم العالي في الحكومة الأولى لتسيير الأعمال التي لم تستمر طويلاً.

وحزب التجديد أيضًا من الأحزاب التي سعت للتخويف من عواقب فوز حركة النهضة الإسلامية، حيث صرح إبراهيم في مقابلة صحفية بأن القيم الليبرالية الحديثة في تونس مهددة من المعسكر الإسلامي، الذي يريد استغلال المشاعر الدينية للمواطنين ويريد فرض سيطرته وأسلوب حياة معين، على حد زعمه.

ومع ذلك قال: إن حزب التجديد مستعد للتعاون مع النهضة في الجمعية التأسيسية.

كذلك هناك حزب "المؤتمر من أجل الجمهورية"، ويرأسه منصف المرزوقي وهو طبيب علماني يساري، وتأسس عام 2001م وحظر بعد وقت قصير من قيامه. وأقام زعماؤه في المنفى في فرنسا، وعاد قبل ثلاثة أعوام من قيام الثورة، ولكنه غادر البلاد بعد شهرين فقط معلنًا أنه لا يمكنه العمل بسبب مضايقات السلطات له؛ حيث طوق مئات من ضباط الشرطة بزي مدني منزله ومكتبه طوال ساعات اليوم، ولاحقوه في اجتماعاته.

ثم عاد المرزوقي من باريس بعد فرار بن علي وسقوط نظامه، واستقبله أتباعه في مطار قرطاج بالأغاني والهتافات. وقد تبوأ مكانته تلك بفضل معارضته لـ "بن علي" لسنوات طويلة. ويعد المؤتمر شريكًا محتملاً آخر لحزب النهضة.

وتتولى الجمعية التأسيسية التي سيتم انتخابها مهمة صياغة دستور جديد للبلاد. وسيحدد هذا الدستور موعدًا لإجراء انتخابات عامة ورئاسية، حيث من المنتظر أن تنجز هذه المهمة خلال عام.

ومؤقتًا ستختار الجمعية التأسيسية رئيسًا للبلاد خلال الفترة الانتقالية، وهو منصب شرفي إلى حد كبير، حيث سيناط بالجمعية نفسها بناء المؤسسات والإشراف على أدائها.

وسيقوم الرئيس بتعيين حكومة مؤقتة جديدة بالتشاور مع الأغلبية البرلمانية، لتخلف حكومة رئيس الوزراء الحالي الباجي قائد السبسي، وهو من التكنوقراط وعمل وزيرًا للخارجية في عهد الحبيب بورقيبة الذي سبق بن علي في حكم تونس.

ومن المرجح أن يُجرى استبدال السبسي، لكن الحكومة ستستمر في مهامها إلى أن تعين الحكومة الجديدة.

الخديعة

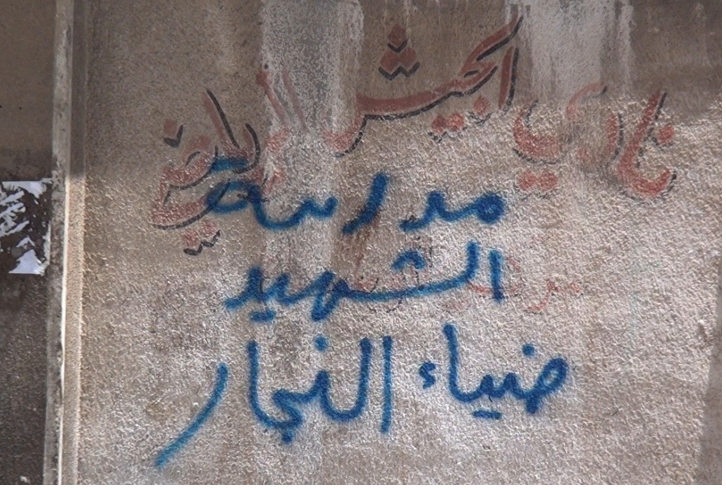

سوريتنا | م. إ

بدت مدينةً غريبة، موحشة وقاحلة، ومفتوحة على الاحتمالات القاتلة. كانت الشمس حينها تنغرز في السهل كئيبة وهزيلة وتفوح منها رائحةُ الدّم. لم يكن بعد قد استعاد كيانه من تلك الرحلة الطويلة في سيارة الزيل المتهالكة. لقد جلس طوال 6 ساعات على طرف السيارة المفتوحة، حيث تكسرت عظامه وهو يراقب تلك البيوت المترامية على طرف السهول كأنها ثقوب مجهولة في الزمن. وكان يرسم في مخيلته قصصاً ذات بدايات ونهايات لا تنتهي يزجي بها تلك الغربة المريرة التي استفاقت في نفسه. وفور وصوله إلى المدينة باشر مهامه واتجه إلى الحاجز العسكري الموجود بالقرب من منطقة السد. لا شيء أكثر من دبابة عجوز صدئة ركنت على طرف الطريق، وإلى جانبها من خيمة متهالكة وبعض السواتر الترابية وملل قاتل في عيون ثلاثة جنود سمر ارتموا على الأرض بالقرب من الخيمة، تحاصرهم أبنية ذات النوافذ التي تبحلق بهم كعيون وتترصد كلّ حركة من حركاتهم. لقد شعر أنه مراقب. لم يلمح سوى بعض المارة الذين لم يلقوا بالاً لوجودهم، لكنه شعر بالرهبة والخوف، وتحسّس رشاشه ليبعث الاطمئنان في نفسه. اقترب من الجنود وألقى تحيةً سريعة عليهم وجلس في الخيمة وهو يستعيد ذكريات بعيدة عن حياة كان يعيشها في إحدى المدن الساحلية، حيث كان يرتمي كلّ يوم على الشاطئ ويستسلم لأحلام يقظة لا تنتهي. كان البحر يسحب روحه رويداً رويداً ويلقي بها في مغامرات بعيدة هو بطلها الأوحد. وها هو الآن مرمي على أطراف هذا السهل اللعين، يلملم تلك الذكريات البعيدة ويحملق في وجوه تقتنص روحه وترمي بها في سهول الخوف راكضاً.

استسلم للنوم بعد ساعات طويلة من التفكير المرهق، وفي ساعة متأخرة من الليل نهض وخرج من الخيمة. كانت الطرقات خاوية، والسماء تلتمع بنجوم براقة وترسل وشوشات خفية. جلس وهو يحاول أن يفهم بداية هذه الأحداث المريرة. لقد بقي على تسريحه من الجيش بضعة شهور. وكان يستعد لأن يسافر إلى البرازيل ليعمل مع أحد أقاربه. لطالما عشق السفر. وقرر عقب انتهائه من الجيش أن يخوض مغامرته الخاصة، ولو أنه يمتلك قارباً ما لجال العالم بذلك القارب. بطريقة أو بأخرى كانت البرازيل تفجر أحلامه بالمغامرات، وكان يشعر أن ثمة نداءً مجهولاً يشدّه إلى تلك الجهة من العالم. لكنه الآن في هذه المدينة اللعينة بسبب مجموعة من الخونة الذين يريدون أن يخربوا هذا البلد. لكنه طوال تلك الأيام كان يحاول أن يرسم صورة ما عنهم. من هم ولماذا يعيثون فساداً في البلد. ذلك ما لم يشرحه بدقة ذلك الضابط الصارم في قطعتهم حين أمرهم بأن لديهم مهمة في مدينة درعا تقتضي التخلص من مجموعات إرهابية تتعامل مع دول أجنبية، ولكن في نفس الوقت كانت هذه المدينة هي التي قضت على أحلامه، أقلها في القريب العاجل. كم هي قاسية الاحتمالات ومرهقة، كأنها مركب تتقاذفه الريح وتزجه في دوامة دون الفكاك منها. لا عمل سوى الانتظار المرير والشك والخوف، وانتظار أن تمرّ هذه الأزمة دون أن تقتنص أحلامه وترمي به إلى قبر أسود قاتم لا مكان فيه للأحلام والمغامرات.

* * *

مضت أيام كثيرة كان يراقب فيها كل شيء بحثاً عن ذلك المجهول الذي كان يتربصه. وفي كل يوم يتكرر ذات المشهد. جموع غاضبة تقترب من الحاجز وتبدأ بالهتاف للحرية. بعد لحظات قليلة يجتمع الأمن وعدد من قوات الجيش ويبدأ المشهد الأكثر دموية. ترى لماذا يحدث كل هذا؟ لقد فكر كثيراً في تلك الكلمة السحرية التي كانت تدفع كل أولئك الناس للذهاب إلى الموت بصدور عارية. ولكنه لم يكن يستشعرها أبداً. ولقد سببت له تلك الكلمة الغائمة سخطاً شديداً على كل من يتلفظ بها. صحيح أنه لم يرى تلك الجماعات الإرهابية والمسلحين إلا أنه شعر بذات الحقد الذي تملكه في بداية الأمر على تلك الجماعات بما يخص هذه الكلمة. لكنه في النهاية اختار أن ينأى بنفسه عن كل ذلك، وحاول أن يبني عالمه المستقل عن كل تلك الأحداث، ونسج في فكره خيمة ينزوي إليها كلما اشتدت الاحتجاجات وكلما أمعن الدم في السيلان أكثر. لم يكن يشأ أن يخرج من عالم الأحلام تلك، وكان على استعداد أن يمضي أيام عمره كلها داخل تلك القوقعة لولا ذلك اليوم الذي خلخل كيانه وهدم خيمته وألقى به إلى صحراء الواقع مرةً أخرى.

كان جالساً كالعادة على طرف الدبابة. يقتله الملل وتستنزفه أحلام اليقظة، وفي تلك اللحظة عبرت من أمامه صبية بعمر العشرين ذات وجهٍ أبيض يعتريه قليل من الحمرة الربانية. لقد كانت تشبه الخوخة الناضجة. وكان ثمّة دهشة تعتري وجهها، وأسئلة كثيرة في عينيها. لم تلتفت إليه، ولكنه في اللحظة التي وقعت فيها عيناه على وجهها جفل في مكان، ودونما وعي شدّ يده على قطعة الحديد الثقيلة على صدره وكأنه على أهبة الموت. اتجهت الفتاة إلى مدخل البناء الذي يقابل الحاجز. لم يعرف ما الذي اعتراه. وشعر بدوار خفيف في رأسه وسرت رعدة في أطرافه. نهض على عجل وراح يذرع المكان جيئةً وذهاباً. بعد لحظات لمحها على النافذة المقابلة للحاجز. كانت تقول شيئاً ما ومن ثم نظرت نحوه لتزجره بعينيها الغاضبتين وأغلقت الستائر بغضب. ومنذ ذلك اليوم أصبح يشعر أن لوجوده معنىً مختلفاً. لقد حاول أن يغالب شعوره مراراً وتكراراً لكنه في نهاية الأمر استسلم لذلك الهاتف الغريب بأنّ هذه هي الفتاة هي التي أرادها طوال عمره. كثيراً ما تلقي لنا الحياة بإشارات وترمينا بأماكن نسخط لوجودنا فيها، لكننا نعرف في نهاية الأمر أن ذلك ينبغي أن يحدث. قد يكون حكمة ما أو صدفة ما. لكنه شعر أن كل قوى العالم قد تضافرت ليكون في هذا المكان. لم يعرف هل كان سعيداً بسبب ذلك أم أنه تعس. هل كل تلك الأحداث الدامية جرت ليقع فيما يسمونه... الحب. شعر أنه قالها بصوتٍ مرتفع لأنّ الجنود من حوله نظروا إليه نظرة غريبة وعلامات الفضول تعتري وجوههم. سرعان ما عاد إلى أفكاره التي كانت تشبه الحمى. كثيراً ما كانت تشده فكرة أن كل ذلك رتب من أجله هو. فالأحداث الكبيرة تخلق تفاصيل تبدو أهم بكثير من تلك التي تأخذ شكلاً ملحمياً. أليس الحب أقوى وأقسى من كل ما يحدث في هذه الأرض الملعونة... لم تعد ملعونةً بالنسبة له. لقد بدأ يراها بطريقة مختلفة. وهاهو ينتبه لأول مرة منذ ذلك اليوم إلى أن هذا السهل الممتد الواسع يشبه البحر. لقد بدأ يشده مرة أخرى إلى عوالم أشهى وأحلى. إنه هنا أكثر ثباتاً من تلك الأمواج المتلاطمة.

* * *

بدأ الشتاء وبدأت معه المدارس. وأصبح هذا المكان جحيماً يحترق بناره التي حاصرته من كل الجهات. كان كالمحموم يراقب عبورها من خلال الحاجز وهي تتجه إلى المدرسة منتظراً إشارة منها، وكان يشعر أنها تكنّ له حقداً شديداً، ففي كل مرة كانت تعبر فيه الحاجز كانت تلقي إليه بنظرة ملؤها الضغينة وتشيح ببصرها عنه بسرعة. وكانت تلك النظرة كفيلة بأن تسحق روحه لتسيل مع الوحل المتدفق بالطرقات. ودون مقدمات بدأ يفكر ملياً في سبب وجوده في هذه المحافظة، وبدأ يشك بكل تلك الأكاذيب والقصص التي كانت تنهال عليهم في كل مرة يجتمع بهم أحد الضباط. أراد مراراً أن يصارحها بشعوره نحوها. ولكن كيف وأين وماذا سيقول؟ هل سيقول لها أنه يريد أن يتزوجها؟ وأنه أمضى أياماً وليال يفكر بهذا القرار العجيب؟ هل سيتقدم إلى منزلهم وهو يحمل الرشاش ويطرق الباب ويقول أريد أن أخطب ابنتكم. لقد عشقها بكل جوارحه... لقد كانت المركب الذي حلم به طوال حياته لتعتقه من الزمان والمكان. وفي كل مرة تنظر إليه بذات النظرة الساخطة ينكمش على ذاته ويعتكف في خيمته ويغرق حتى الموت في أمواج الحب المتلاطمة في صدره.

استمرت المظاهرات وأخذت تكبر يوماً بعد يوم. وذات مرة انجرف الناس نحو الحاجز كسيل يريدون العبور إلى الطرف الأخر للمدينة. في كثير من الأحيان كان يتجاهل الأوامر التي كانت توجه إليهم بالتأهب والجاهزية ويكيل كل الشتائم في قلبه مراراً وتكراراً إلى تلك الأوامر ومن يطلقها. ولكن هذه المرة فوجئ بأحد ضباط الأمن في الخيمة، حيث أمره بتجهيز سلاحه والخروج لمواجهة الناس. شعر بالذهول في البداية لكن إصرار الضابط وصراخه جعله يمسك رشاشه ويخرج مسرعاً. كان الغضب يرج الأرض من تحته واقترب الناس أكثر فأكثر. أعطى الضابط أمراً بأن يتأهب الجميع لإطلاق النار لكنه يصغي. أعاد الأمر مرةً أخرى إلا أنه بقي على وقفته. اقترب منه وأمره مرةً أخرى بأن يتأهب لكنه كان شارداً وكأنه يشاهد ولادة لأول مرة. كان في عينيه شيء من السعادة والدهشة بذات الوقت. لقد أدرك لأول مرة في حياته معنى أن يكون حراً. وشعر أن تلك الكلمة تحفر عميقاً في قلبه. وفي تلك اللحظة وقعت عينه على ذات النافذة، حيث كانت تلك الفتاة تنظر بتجهم إليه. أعاد الضابط الأمر دون جدوى ومن ثم أمره بأن يطلق النار نحو المتظاهرين. لكنه بقي على تلك الحالة أشبه بالممسوس والمسحور. وكأن الزمن توقف بالنسبة له. لقد فهم كل شيء دفعة واحدة. لقد فهم دون حاجة للشرح، ودون حاجة للتعبير. شعر حينها أنّ نوعاً من الإدراك الكلي قد تنزّل عليه، وأنّ الكون كله واللّه والسموات أبسط من أن تفسر. وأثناء ذلك كان الضابط يرجع عدة خطوات إلى الوراء وقد سحب مسدسه الأسود الطويل وبربر بشيء ما وأفرغ ثلاث رصاصات في جسده.

ثوانٍ قليلة يحتاج المرء فيها ليموت عندما تخترق الرصاصة جسده. وغالباً لا تكفي لكي يشعر المرء بالوجع أو الألم. لكن هذه الدقائق كانت طويلة وكافية لأن تجعله يتلمس حدود الكون وأطرافه التي اتخذت شكل وجهها. وكانت عيناه معلقتان على النافذة. وكانت هذه الثواني كفيلة بأن تجعله يرسم ابتسامة خفيفة. ابتسامة أراد من خلالها أن يقول لها: آسف، لم أكن أعرف شيئاً! لقد أحببتك وهذا كان كل شيء بالنسبة لي.

وعلى النافذة المطلة على الحاجز العسكري بالقرب من منطقة السد كانت تلك الفتاة البيضاء ذات الخدود المصطبغة بحمرة ربانية متشبثة بالستائر وتنهمر من عينيها دموع غزيرة بللت ثوبها، وقد زال من عينيها ذلك التجهم والسخط، وقد ارتسمت على شفتيها ذات الابتسامة التي كانت على شفتيه لحظة موته.

لماذا يثور السوريون؟!

رجـــل.. وانكســـار..

سوريتنا | سعاد يوسف

ككل صباح، أقف عند مفترق الطريق ذاته في انتظار سيارة أجرة لتقلني إلى العمل... أشرت لأول سيارة لمحتها، وصعدت.

«يعطيك العافية عم، عالمزة لو سمحت»

«لوين؟؟»

«مزة، مزة»

«واللّه ما سمعت علّي صوتك»

همست في قلبي «يييبي علينا من عند الصبح»، وقبل أن أكمل، لمحت ورقة ملصقة بجانبه تقول:

«الرجاء

سمع السائق ضعيف قليلاً

والحمدللّه»

خجلت من نفسي، رفعت صوتي وقلت «عالمزة»، هذه المرة سمعني، وانطلق.

انتابني فضول غريب تجاه هذا الرجل، يبدو في حوالي السبعين من عمره، يرتدي قميصا برتقاليا وبنطالاً أسود يبدو باهتاً ربما لكثرة المرات التي انغسل فيها، يداه ترتجفان بشكل مستمر ولا يكاد يستطيع أن يمسك مقود السيارة. قررت أن أحادثه قليلاً فسألته (بصوت مرتفع):

«أديش عمرك عم؟»

«أنا؟ أنا مواليد 1945، I am sixty five years old»

ارتسمت ابتسامة على شفتي وقلت في نفسي «واو، بيعرف انجليزي العمو كمان»، وما لبث أن قال لي:

«بتحكي انجليزي؟»

«شوي، ماشي الحال»

«ليش ماشي الحال؟ الانجليزي هلأ لغة كتير مهمة يا عمو...»

وانطلقنا في حديث عن اللغات، وأهميتها، وأية لغة هي الأكثر انتشاراً، وأيها الأكثر شعبية وأيها الأسهل للتعلم، وكان بين كل جملة وأخرى يقول بضع كلمات بالانجليزية ويسألني «بتعرفي شو معناها ولا آشرحلك ياها؟»

انقضى الوقت سريعاً بين حديثنا وضحكاتنا، لم أستطع التوقف عن تأمل هذا الرجل العجوز وكنت مفتونة بضحكته وطيبة قلبه... وذهلت عندما قال لي إنه ترجم كتاباً من الانجليزية للعربية عندما كان عمره سبعة عشر عاماً... «ما نشرتو، هواية بس كانت، كنا نعمل هيك منشان نقوي لغتنا ونقضي الوقت بالصيفية بشي مفيد...»

لم نكمل حديثنا عن الكتاب، ففي منتصف «اوتوستراد المزة»، وعندما كنا متوقفين على إحدى الإشارات الضوئية، أخذت سيارة واقفة خلفنا «بالتزمير» بشكل متواصل ومزعج... نظرت إلى الخلف فرأيت سيارة تابعة للجيش، سوداء كبيرة و«مفيّمة» النوافذ... سائق سيارة الأجرة لم يسمع، وسائق السيارة «المفيّمة» استمر بالتزمير... لا أدري، ربما كان على أن أتصرف بشكل أسرع، كل ما أعرفه هو أن سائق السيارة المفيّمة ترجل بسرعة من سيارته، فتح الباب الأمامي لسيارة الأجرة، أمسك بالرجل العجوز من يده وأخرجه من السيارة وأخذ يهزه بعنف منهالا عليه بالسباب والشتائم «ولا حيوان ماعم تسمع أني عم زمرلك لتبعد؟ لما أسيادك بيزمروا بتبعدلون وبتضربلون تحية سلام مو بتضل واقف بأرضك... لعما ماعد في احترام بهالبلد لا لكبير ولا لصغير....»

أخذت بالصراخ، قلت له «ماذا تفعل؟ إنه لا يسمع، لا يسمع»... لا أعلم إن كنت أصرخ فعلاً أم إنني توهمت ذلك، فالرجل لم يتوقف عن إهانة سائق سيارة الأجرة، حتى بعد أن لمح تلك الورقة الصغيرة المسكينة التي تخبره بأنه لم يتمكن من سماع صوت زمور سيارته.

استمر المشهد ربما لدقيقة، أو لساعات لا أدري، وللحظة توقفت الشتائم، ورأيت يد الرجل ترتفع لتضرب السائق المسكين كفاً على خده «هاد منشان تتعلم كيف تحترم أسيادك»... عاد الرجل إلى سيارته الفخمة، وانطلق بها مسرعاً، تاركاً الرجل العجوز واقفاً، مذهولاً، منكسراً ذلاً ومهانة...

هل انهمرت دموعي؟ هل قلت له شيئاً؟ لا أذكر... كل ما أذكره هو عودته ليجلس وراء المقود ويكمل الطريق، عيناه حزينتان، غابت منهما الحياة، وضحكته فارقت وجهه المتعب... لم نكمل حديثنا، ولم أستطع أن أسأله عن اسم الكتاب الذي ترجمه... كنا أنا وهو ننظر إلى تلك الورقة الصغيرة، ربما كنا نلومها، ربما كان عليها أن تكون أكبر قليلاً، أوضح قليلاً، كي تخبر عن صاحبها وآلامه ومعاناته، أو ربما كان علي أنا أن أكون أقوى قليلاً وأقف في وجه همجية لا تعرف الرحمة... بقينا ننظر إليها حتى وصلت إلى مكان عملي، وترجلت من السيارة تاركة إياه هو، والورقة، وانكسارات لن تمحى من ذاكرته حتى يموت...

كـــرم مخلـــوفـــي

من دون سابق إنذار، يرن جوالي معلنا عن رسالة قصيرة، فأتلهف مسرعا لأمسكه لعل وعسى أن يكون محتواها صك استسلام من إحدى صديقاتي العذراوات تكشف من خلاله عن افتتانها بشخصي المتواضع، إلا أن خيبة أملي سرعان ما تكون مضاعفة بعد أن أرى أن الجهة المرسلة هي الوكالة العربية السورية للأنباء الشهيرة بسانا والمختلفة جذريا عن وكالة الفضاء الأمريكية ناسا.

وقبل أن تلوموني على اشتراكي أساسا بخدمة أخبار سانا فإنني، واللّه على ما أقول شهيد، من المقاطعين لهذه الخدمة التي تكلف شهريا 50 ليرة سورية- تُسرق منك مرة واحدة ولا تُجزأ على أيام الشهر فلا يكون بالإمكان الاستفادة ماديا في حال رغبت بتوقفها بعد 15 يوما مثلا لتسترد 25 ليرة من مالك المسروق.

وبعيدا عن المحتوى الإعلامي لرسائل سانا الإخبارية والتي تتضمن حينا دعوة لمسيرة مليونية عفوية في مكان لا يتسع لأكثر من ربع هذا الرقم أو اعترافا لأحد "الإرهابيين" بتوزيعه سندويش كباب على المتظاهرين لحثهم على مواجهة الرصاص بصدور عارية، بعيدا عن هذا المحتوى الذي يظهر مدى الغباء الإعلامي لنظامنا العتيد ومدى بجاحة الكذب وصفاقة الكاذبين واستحمار المثلقين فإن أكثر ما أثار استغرابي هو هذا الكرم الرامي المفاجئ من شركات فاعل الخير حاتم مخلوف أدامنا اللّه خرافا تحت رعايته، إذ أن إرسال هذه الرسائل بالمجان للمشتركين الذين اختاروا سيرياتيل أو إم تي إن من ضمن الخيارات العديدة الأخرى المتاحة يدل على أن مخلوف قد قطع شوطا في مسيرته للتحول نحو الأعمال الخيرية وأن هذا الخيار الاستراتيجي لا يختلف تماما عن خيار المقاومة الذي يجعل أمن سورية من أمن إسرائيل.

ولن يكون غريبا في المستقبل القريب أن نتلقى رسائل إخبارية مجانية من خدمات إخبارية مماثلة كشبكة الدنيا فان كاتع أو ناصر قندبل نيوز، وبانتظار مثل هذه الخطوات الإنسانية من أبو الريم فإنني آمل أن يتوقف فاعل الخير عن سرقة 50 ليرة كاشتراك شهري عن خدمة الكاشف الإخبارية أيضا..وإن كنت بصراحة لا أتوقع أن يحدث ذلك قريبا فرامي يريد أن يسرع بالأعمال الخيرية لا أن يتسرع وهناك لجنة تعكف على دراسة الموضوع الآن وما علينا إلا انتظار ما ستخلص إليه خلال السنوات العشر المقبلة.

مراسلات سوريتنا | عبودة

دندنات إندساسية

تعا.. ريف

■ يسر أفغاني

تعا: فعل أمر عامي بمعنى تعال، أحياناً يستعمل مع الحيوانات مرفقاً بمقطع آخر هو: تر وأحياناً مع البشر مع كلمة: "ولا".

ريف: منطقة خارج المدينة ذات طبيعة جميلة وورود وأزهار. وهو أيضاً جزء من العين ذو حساسية عالية.

الربيع: أحد الفصول الأربعة يأتي بعد الشتاء البارد، تزهر فيه الأشجار وتتفتح الأزهار.

الحلم: فيلم قصير يشاهده الإنسان أثناء نومه وأحياناً أثناء اليقظة.

النجوم: كواكب مشتعلة بعيدة جداً. يراها الجميع في الليل والبعض عند الظهيرة.

البوق: أداة موسيقية نفخية، تقوم بترديد نفس الصوت الذي يدخل إليها مع القليل من التضخيم وإضافة الصدى. تتميز هذه الآلة باللا إبداع حيث لا تستطيع ابتكار أي صوت من تلقاء ذاتها.

الطبل: أداة موسيقية أخرى. كبيرة الحجم. ذات وجهين وصوت عالٍ يصدر بالضرب عليها بشكل متكرر.. ولكنها جوفاء وسهلة البخش.

الحمار: حيوان مسكين يحمل الأثقال والأحمال.. يطيع الأوامر بدون تذمر وغالباً ما يتلقى رفسات ومسبات ولعنات لأخطاء يرتكبها الذي يمتطيه. عندما لا يعود الحمار ذا نفع، يتم التضحية به واستبداله بآخر.

الجحش: حيوان آخر يتفرج على ما يحدث مع الحمار ولا يتعلم.

الممسحة: خرقة بالية توضع على المدخل من أجل تمسيح الرجلين فيها. عادة ما تكون وسخة لكثرة النعال التي داستها. كما تنبعث منها رائحة كريهة، يتم رميها في القمامة بعد الانتهاء من استعمالها.

العضلات: جزء من جسم الإنسان. منها الإرادي ومنها اللاإرادي.. وهي حمراء وكبيرة..عادة ما يتم استخدامها لضرب رأس الثوم وقلع غطاء المرطبان وتمزيق ورق البامية.

الكولا: سائل غازي أسود اللون ذو رغوة ينفجر بعد رجه وحبسه في القنينة ويلوث ما حوله بالدبأ والبقع.

المطر: ماء ينزل من السماء فيخرج الناس جميعهم لشكر ربهم على هذه النعمة، يلهجون بالشكر لربهم ويطلبون المزيد.

الدم: سائل أحمر اللون يتحول إلى الأسود مع الزمن لأنه يتخثر ولا تعود تنفع محاولات مسحه وتنظيفه.

فـــدائـــي

إلى ذكرى الشهداء الفلسطينيين الذين سقطوا في درعا البلد
إلى كل الأصدقاء الفلسطينيين المعتقلين في السجون السورية...إلى أ.ف

سوريتنا | ع.م

انحدر من التلة التي تصل طريق السد بالبلد. ومن خلفه كان المخيم كتلة هائلة من السواد. وعلى الدرب الترابي كان القمر يرسم أخيلةً متراقصة لظله. تبا لك أيّها القمر، وارتمى على الأرض وقد ألصق خده الأسمر بتربتها الشائكة. لقد تذكر في تلك اللحظة دعوة جدته لوالده حين كان يخرج مع الفدائيين. وفي أزقة المخيم التي تفيض منها الحياة بعشوائية كرائحة الخبز في الصباح كانت تجلسه على المصطبة الإسمنتية على باب الدار وتروي له قصص الفدائية. وكانت تقول له: كنت أقول لأبوك اللّه يرحمه: روح اللّه يجعل القمرة قدامك والعتمة وراك واللّه يعمي عيونهم عنك. تبا لهذه القمرة. لقد كان الرصاص يحرث الأرض من حوله بسبب هذا القمر اللعين. وكان مجرد تحريك رأسه كفيل بأن ينعث كل الذكريات التي احتفظ بها عن المخيم. لقد كان وسيم فلسطينياً سورياً. ولم يعرف يوماً أن يتغلب على ذلك الشعور الأليم بأنه ينتمي إلى مكانين مختلفين. لقد كانت حدود المخيم تحفر في صدره عميقاً وتثير في نفسه ذلك الشعور بعدم الانتماء. وهاهو الآن مرمي بين المخيم والبلد عند منحدر الوادي الواصل بينهما كأنه لا شيء... كأنه خلق في هذا المكان منذ الأزل.

تبا لك أيها القمر.. استمر وسيم بشتم تلك الكتلة المنيرة التي كثيراً ما كانت تنير مساءات عشقه المعذب على أسطح المخيم المتداخلة ببعضها. لكنه الآن بدا نزقاً كئيباً زائداً عن الحاجة. وقد عض على الكيس الأسود الذي يحمله. كان الحصار على درعا قد بدأ منذ عدة أيام. وقد شلت الحياة تماماً فيها. لم يعد هناك خبز أو ماء أو دواء. وطال تشبثه بالأرض. وشعر بذاكرة الأرض تنسل منها قصص لأجساد ذابت بترابها. وأنصت تحت أزيز الرصاص إلى هسيس الميتين. حينها طار الخوف الرابض على رأسه. وشعر بألفة المكان. وتذكر رهف بوجهها الذي يشبه تفاحة على وشك النضوج. لقد كانت مثل دفقة ماء بارد تنعش الروح. أمال رأسه نحو القمر الذي شعر أنه كشاف ليلي ورفع مقلتيه نحوه، وفي تلك اللحظة كان يأخذ صورة رهف. ابتسم وشعر أنّ الموت فكرة أبسط بكثير مما نعتقد، وأذّه في تلك اللحظة يريد أن يستسلم لذلك الخدر الذي تورثه عيناها اللتان تنيران له هذا الدرب الترابي المتعرج. لقد شعر أنّ رهف تبتسم له من خلال القمر.

ومن تلة الكرك سال التكبير مثل شلال هادر. كان التكبير هو الوسيلة الوحيدة للناس في دفاعهم عن وجودهم. وكانت تلك الكلمة كالقنبلة تنزل على الأمن والجيش فيجن جنونه. اللّه أكبر... كانت أيضاً مثل رصاصة أعادته إلى وعيه. نظر نحو البلد. كانت الطريق ما تزال طويلة بعض الشيء. والرصاص ما زال ينهمر دون توقف. زحف ببطء على كوعيه. كان ثمّة العديد من الشجيرات التي نبتت على طرف الوادي فحاول أن يلوذ بها. وكان هناك قناص على أحد الأبنية. لا بد أنه على بناء الكهرباء. كيف يراني. همس في سره. إنّه القمر ولا شك. ابتسم، وراح يفكر في الطريقة التي يستطع من خلالها الوصول إلى تلك الشجيرات.

كان وسيم يفكر طوال خروجه من البيت عند الساعة الثانية عشر ليلاً بكيفية توصيل هذا الكيس إلى البلد. لقد أدرك أنها أخطر مهمة من الممكن أن يقوم بها في حياته. لم يكن الأمر كالخروج في المظاهرات. إنه يعلم أنه إذا أمسك ومعه هذا الكيس فيما لو نجا من هذا الجحيم فمن الممكن أن يعدم في لحظتها. لم يخبر أحداً بخروجه. لبس ذلك الشماخ الأبيض والأسود وانسل من الباب الخلفي للدار. كانت الحواجز تقطع درعا البلد. لم يفكر كثيرا في الطريق التي سيسلكها. كان يتبع حدسه. للمخيم منافذ عديدة وهو الأقرب للبلد. ربما هي المرة الوحيدة التي يشعر بها بالعرفان كون المخيم بني بهذه الطريقة. لطالما شعر بالسخط لأنه وجد بهذه الكتلة الإسمنتية العشوائية. لكنه الآن يتخذ معنىً أخر. لقد أمضى أكثر من أربع ساعات للوصول إلى قعر الوادي الذي يفصل درعا المحطة عن درعا البلد. وفي كل خطوة كان الموت يتقفى أثره. وها هو الآن قد أمضى أكثر من ساعة وهو ملتصق بالأرض كعاشق. كان الرصاص ينهمر من كل الجهات. أمسك حجرا بيده وقذفه بعيداً فاندلع الجحيم مرةً أخرى، وحسم أمره حينها وركض نحو الشجيرات وألقى بجسده بالقرب منها. مضت لحظات قليلة عندما شعر أن قدمه أصبحت دافئة. كان للدم لون ساحر وهو يتدفق من قدمه تحت أشعة القمر الفضية. كان لونا غريباً ينسكب بهدوء على الأرض. لم يكن بإمكانه أن يضمد جرحه. ولم يسعه ذلك. لكنه راح يتأمل ذلك المشهد الغريب. كان يشعر لحظتها أنه يتماهى مع هذه الكتلة الغريبة. إنه وهذا الكون الفسيح كتلة واحدة تتناغم وتتفاعل بطريقة مثيرة. كل شيء الآن أصبح أكثر جمالاً واتخذ معنىً عميقاً. ذهب صوت الرصاص وصمت كل شيء في عقله. لم يعرف كم لبث وهو يحدق بقدمه المصابة، لكنه شعر بدفء الكيس الأسود تحت صدره. كان يحتضنه كأنه مولوده. ينبغي أن أصل. هاهو البيت الذي يقصده على مقربة منه. ومن مكان استطاع أن يلمح مئذنة الجامع العمري. كان الجامع قد تحول إلى ثكنة عسكرية. وربما كان القناص الذي يترصده قد تمركز هناك. ثمّة حبّالة من الحجارة السوداء تعترض طريقه. تحسس الكيس الأسود مرة أخرى وداعبه بحنان. وقفز ثلاث قفزات كان خلالها وراء الحبّالة. التصق بها وأحنى رأسه إلى الأسفل. كان الألم يجتاح جسده. وشعر بثقل كبر في قدمه. لقد أوشك على الوصول. ومن وراءه كان الفجر قد اتخذ مكانه في الأفق وبدأ يرسل أشعته الزرقاء. بدت معالم الأشياء أكثر وضوحا وكان ثمة ضوء جنائزي وردي على خط الأفق يثير في النفس ذلك الألم العميق. وعندها صاح بأعلى صوته يا حسين... وركض مندفعا بأقصى طاقته.

دائماً ما يقال إن الإنسان في آخر دقائق يعيشها تمر الذكرى أمامه كشريط سريع. كان ذلك حقيقة. لقد عصفت بذهنه كل الذكريات الجميلة، وتوقفت تماماً عند وجه رهف.... رهف...أحبك يا رهف...

على الطرف الآخر في البلد خرجت أم حسين ذات الستين عاما| وهي تركض. لم يستطع حسين الخروج. النساء وحدهن من الممكن أن ينجين من الرصاص. عقدت عقصتها وركضت والدموع تبلل وجهها وهي تصيح يا وسيم يا بنيي... وكان وسيم مسجىً على الأرض وقد انفجرت الدماء من أثر الرصاص الذي درز جسده الأسمر الهزيل وانتشرت حوله بقعة كبيرة من الدم. وكان الكيس الأسود قد انفرج وخرجت منه بعض أرغفة الخبز التي لطخ بعضها بالدماء. سحبت أم حسين الكيس الأسود ومن ثم أمسكت يده لتسحبه لكن الرصاص كان يبكت جسمه مرة أخرى جاعلاً جسده يرقص رقصته الأخيرة. عادت أم حسين مسرعة إلى المنزل وكانت عينا وسيم قد اتسعتا أكثر وهما تنظران نحو القمر الذي بدا أكثر إلتماعاً في ذلك الفجر البعيد من أيام الحصار.

ليس في حوزتي الآن غير الخجل

■ ريتا إبراهيم فريد

إلى ابنة الشهيد غياث مطر

لا أدري بأي أسلوب سأكلمك يا صغيرتي. فأنتِ لا تزالين داخل أحشاء والدتك، ولا تعلمين بما يجري حولك في العالم الخارجي. ليس لديكِ أدنى فكرة عن نظام يحرم الأبناء من آبائهم. كيف يمكن لي أن أخبركِ بأن والدكِ استشهد قبل أن تتمكني من التعرف إليه، وقبل أن يتمكن من ضمّك إلى صدره ليفرح بك؟

بتُ أخترع في مخيلتي رسماً لك. أحببتُك ولم أعرفكِ، وربما لن أعرفك. لكنني ربما أعرف حجم معاناة طفلة حاولت أن تسابق الأشهر التسعة لتولد، فإذا بوالدها قد سبق عمره الجميل نحو الموت.

قصتكِ تشبه قصتي. والدي قتل أيضاً وكانت أمي حبلى بي. أنا أيضاً خرجتُ إلى هذا العالم من دون أن أجد والداً ينتظر مجيئي قلقاً، ومن ثم يعمد إلى توزيع الحلوى ابتهاجاً. أنا أيضاً لم أحظ باسم اختاره أبي لي. لم أحظ بصورة معه. بضمة حنان على كتف رجل قد يمثل عالماً كاملاً من الأمان والطمأنينة لكل ابنة.

لقد مضى على استشهاد والدكِ أسابيع عدّة، ورغم ذلك لم تغب صورته الباسمة عن مخيلتي لحظة.

سأعترف لكِ الآن بشيء. لقد حاولتُ مراراً نسيان هذا التشابه بيننا وتجاهل التفكير بوالدك وبك. حاولتُ إلهاء نفسي بالدفاع عن النظام وتبرير موقفي منه وتخوفي من الثورة ضدّه. أحطتُ نفسي بوسائل دفاعية كي أمتنع عن «الذهاب بالعاطفة» نحو تحديد موقفي: التخوّف من خدمة المشروع الصهيوني في المنطقة، القلق على مصير المقاومة فيما لو سقط بشار الأسد، الفزع من جماعات سلفية متشددة.. والى ما لا نهاية من أعذار وضعها البعض لتبرير لامبالاتهم تجاه «المحرقة» التي ترتكب في سوريا.

حاولتُ كثيراً الهرب من المسؤولية المترتبة على كل «إنسان» تجاه ما يجري عندكم. كنتُ أتناول الموضوع بالسخرية أحياناً. حاولتُ السير في الخط المعاكس. لكني لم أستطع! بكيتُ كثيراً على والدكِ وعلى كل الشهداء الذين شعرتُ بأيديهم تمتدّ نحوي، وأعينهم تتفرّس بي حاملة لي الخيبة والعتب!

ليس في حوزتي الآن غير الخجل من نفسي. إحساس بالذنب يشل تفكيري. أظنني كنتُ فعلاً كما قيل لي على لسان أحد الأصدقاء «بلا ضمير وما عندك جنس الإنسانية!».

حزني الآن عميق بعمق صرخات كل معتقل. ألمي يتصاعد نحو دموع كل والدة قتل ابنها، وكل طفل انتظر والده ولم يعد.. أوجاعي تحاول الوصول إلى ارتفاع هؤلاء الثوار الكبار، كي أمسك معهم ضوء الحقيقة الثائرة.. وأعتذر منهم فرداً فرداً على تواطئي وجبني!

لقد بتُ أعيش جحيماً ناره مقالات وأخبار تتوالى عن هذه المآسي. لو استطعتُ أن أضع نفسي قيد المحاكمة أمام محكمة الإنسانية، لفعلت!

يا صغيرتي، أودّ لو أحضنك الآن كي أخفف عنكِ. أنا أعلم جيداً بأية ظروف ستلدين. كما ولدتُ أنا، محاطة بدموع والدة متشحة بالسواد، وبذكريات عن والد بطل ورغبة بالثأر له. لكنك ستكونين محاطة أيضاً بأخبار حلوة عن وطن نبتت فوق جروحه حقول من الآمال. سوف تشهدين على كتابة حرية جميلة خطتها ثورة عظيمة، ووقع عليها أبطال كبار.. من بينهم والدكِ!

يا أرضنا.. شهداؤنا: نوصيك بهم خيرا

الشهيد الطفل زهير عوض العمار

عمره 8 أعوام، في الصف الثاني الإبتدائي.

استشهد على حاجز للجيش غرب بلدة نمر في محافظة درعا، حيث كان ذاهباً مع أطفال آخرين كي يلعبوا كرة القدم في باحة المدرسة الغربية المتاخمة لأحد الحواجز العسكرية، وعندما اقتربوا من الحاجز نادى لهم العساكر (الذين كانوا قد لعبوا معهم بالكرة في اليوم السابق وأدخلوهم إلى الدبابة وعرفوهم عليها من الداخل) ومازحوهم، وعندما طلب زهير من الجنود أن يسمحوا له بإمساك البندقية قام الجندي الذي يعتلي الدبابة بفك مخزن سلاحه - ناسياً الطلقة التي لاتزال في حجرة الانفجار وناسياً أن يؤمن سلاحه- ثم ناول السلاح لزميله الذي يقف إلى جانب الأطفال في الأسفل وضغط على الزناد عن طريق الخطأ فخرجت الرصاصة لتخترق خاصرة العسكري وتدخل تحت إبط زهير وتخرج من الطرف الآخر لجسمه مارّة بقلبه، وقام العناصر بنشر رواية مفادها أن العصابات المسلحة قامت بإطلاق النار وإصابة العسكري وقتل الطفل زهير.

الشهيد البطل رامي الفاخوري

الشهيد الرابع في حي الإنشاءات، فبعد الشهيد عدنان عبد الدايم استشهد عبد الرحمن حاكمي وعلاء كلاليب في اليوم الثالث لعيد الفطر جراء إلقاء قنبلة مسمارية عليهم يوم 2011\9\1.

في يوم الجمعة 2011/09/30 لحق الشهيد رامي الفاخوري بصاحبيه متأثراً بجراحه التي أصيب بها منذ ذالك الوقت.

الشهيد البطل طاهر السباعي

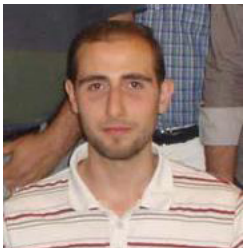

طاهر إفضال السباعي شهيد الانشاءات وحمص.

كان طالباً في كلية الهندسة المعمارية سنة رابعة.

استشهد يوم 16-10-2011.

بتلقيه برصاصة من رشاش 500 في شارع البرازيل أثناء مرور مظاهرة جامع الفرقان.

شمعات الحرية . . معتقلونا

المعتقل الحر طريف السعدي

طريف السعدي، مواليد دمشق 1985، خريج الجامعة العربية الدولية قسم هندسة الاتصالات و الحواسيب دفعة 2010 ، كان على وشك إكمال دراسات عليا في مجال تخصصه.

تم اعتقاله صباح يوم الثلاثاء 11-10-2011 من منزله الكائن في المزة فيلات غربية ومصادرة أجهزة الكومبيوتر والموبايلات الموجودة في البيت وذلك بدون أي مذكرة تفتيش واعتقال ودون توجيه أي تهمة، وما نعرفه حتى الآن هو أن طريف موجود في فرع الأمن السياسي – الميسات حيث لم تتم محاكمته ولم يتسنى لأهله الاطمئنان عليه ورؤيته.

المعتقلة الحرة كندة العامود

من مدينة السلمية، مواليد 1990، طالبة علم اجتماع سنة ثانية، اعتقلت اليوم الثلاثاء 25-10-2011 أثناء تواجدها في مكان مظاهرة الحميدية في دمشق، حيث فوجئت بأحد شباب دمشق وكأن الأمن يحاول اعتقاله فدافعت عنه مدعية أنه خطيبها فقام الأمن باعتقالها معه دون أن تعرف من هو الشاب. كندة باعتقالها تؤكد بأن لا طائفية في هذه الثورة بل تتشارك كل مكوناتها ومكنوناتها من نساء الحرية ورجالها المصير نفسه....

يا نحن

بيان حقوقي يتعلق بالاعتداء الذي وقع على الناشطة هنادي زحلوط

بتاريخ 2011/10/5، تعرضت الناشطة الصحافية المستقلة هنادي زحلوط، إلى اعتداء سافر داخل حرم القصر العدلي في دمشق.

حيث قامت المحامية المدعوة هلا سحلول بالتهجم على الناشطة هنادي وضربها، والتعرض لها ولأسرتها بألفاظ بذيئة ومهينة، وذلك بعد خروج الناشطة هنادي من غرفة قاضي التحقيق، حيث قام أحد عناصر الشرطة العدلية التابعة للقصر العدلي، بإرشاد المحامية المدعوة هلا سحلول على الناشطة لتهجم عليها على مرأى وسمع عناصر الشرطة المدنية التي كانت ترافق زحلوط، إضافة لعدد من المحامين والمواطنين الذين كانوا حاضرين عند وقوع الحادثة.

إن لجنة محامو سوريا من أجل الحرية، اذ تدين السلوك العدواني واللاأخلاقي، والمخالف للقوانين، الصادر عن أحدى المحاميات، إضافة إلى ما قام به عناصر الشرطة المدنية من مخالفة للقوانين والواجبات المناطة بهم، بوقوفهم صامتين أثناء الاعتداء الذي تعرضت له الناشطة المعتقلة، والتي يفترض ان تكون تحت حمايتهم.

كما نعتبر أن بياننا هذا، بمثابة إخبار للنائب العام بوقوع جرم داخل حرم القصر العدلي بدمشق، والواقع تحت ولايته، ونطالبه بمباشرة التحقيقات. فضلاً عن إحالة المدعوة هلا سحلول، الى المحاكمة المسلكية، وفي حال ثبت قيامها بهذا الجرم، شطبها نهائياً من جداول نقابة المحامين في سوريا، بوصفها تمثل عاراً على هذه المهنة النبيلة.

وتجدر الإشارة إلى أن الناشطة الصحافية المستقلة هنادي زحلوط، لا تزال معتقلة منذ تاريخ 2011/8/4، ولغاية صدور هذا البيان، حيث أصدر قاضي التحقيق الأول بدمشق قراراً بتوقيفها مع عدد من رفاقها ووجه لهم التهم الآتية:

1 - إنشاء جمعية بقصد تغيير كيان الدولة الاقتصادي -الاجتماعي ، المادة 306

2 - إضعاف الشعور القومي أو إيقاظ النعرات العنصرية أو المذهبية، المادة 285

3 - نقل أنباء كاذبة من شأنها أن توهن نفسية الأمة،المادة286

4 - اجتماعات خاصة وتظاهر وشغب وتحريض على التظاهر والشغب، المواد 335، 336، 216

دمشق في: 26-10-2011

عاشت سوريا حرة ديمقراطية وعاش شعبها حراً كريماً

لجنة محامو سوريا من اجل الحرية

مدينة الرستن

من مظاهرات مدينة الرستن الثائرة

لمحة تاريخية:

تقع مدينة الرستن في المنطقة الوسطى من سوريا وعلى بعد 25 كم شمال حمص وجنوب حماه. تتربع مدينة الرستن بمبانيها الحجرية الجميلة القائمة فوق الجبل والمشرفة على نهر العاصي وشوارعها المرصوفة وأعمدتها الضخمة ومنحوتاتها المهشمة وأقنيتها القديمة والتي تعود إلى عهود القدماء من العرب الأمويين والكنعانيين والآراميين والتدمريين والغساسنة والمسلمين. ويعود تاريخ مدينة الرستن إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م حيث عثر فيها على نقش هيروغليفي حثي يشير إلى الملك أرخوليتي بن توعي ملك حماه. وتؤكد المصادر التاريخية أن المدينة بنيت في عهد سلوقس نيكاتور وقد سميت (أريتوزا) نسبة إلى مسقط رأس سلوقس نيكاتور وفقاً للمخطط الهبودامي الشبكي.

بلغ عدد سكان المدينة في عام 2011 حوالي 85,176 نسمة بينما يبلغ عدد سكانها مع القرى والريف التابع له ما يقارب 100 الف نسمة بحسب تقديرات المكتب السوري المركزي للاحصاء. حيث يشكل العرب نسبة 94 بالمئة من سكان مدينة الرستن وهنالك بعض القرى التابعة لها من الإثنية الداغستانية والشركسية ويشكل أبناء الطائفة السنية 98 بالمية من أبناء المدينة وريفها.

مع بدء الانتفاضة السورية في درعا منتصف شهر آذار 2011 كانت الرستن من أولى المدن التي استجابت لنداء الوطن و الحرية وكان أهلها أول من حطم أصنام و تماثيل الطاغية الأسد الذي كان يتربع على مدخل الرستن الجنوبي في ما كان يعرف بقاعدة المجد القتالي ويعتبر هذا التمثال الأضخم للرئيس الراحل في سوريا وكان مصنوعا من الرخام الإيطالي .تم إحراق مقر الأمن العسكري الملاصق للجسر الصغير في الرستن وتم قطع الأوتستراد الدولي عند جسر الرستن الكبير وإحراق مقر حزب البعث في شارع الثورة ومقر الأمن السياسي في اشتباكات بين جنود منشقين وقوات الأمن والجيش السوري. وسقط في المدينة خلال شهري أيار وحزيران أكثر من 85 شهيد موثقين بالاسم لدى المنظمات الانسانية وقد سقط منهم لا يقل عن 30 شهيدا فيما بات يعرف بمجزرة الأمن العسكري في أواخر شهر نيسان 2011 وتلا ذلك اقتحام عسكري لمدينة الرستن سقط خلاله الكثير من الشهداء والجرحى ومئات المعتقلين.

شكلت الرستن عقدة أمام القوات العسكرية، إذ ظلت عصية على الاقتحام. قام الجيش بمحاصرتها، وقام بقصفها دون أن يتمكن من اقتحامها، ولم ينجح في قمع المظاهرات، بل إن مقاطع فيديو بثت على موقع «يوتيوب» تظهر تمرد عدد من الجنود على رؤسائهم، والوقوف مع الأهالي، الذين أخذوا إحدى المدفعيات وقام الجنود الذين كانوا فيها بحماية الأهالي وقصف مقر الأمن العسكري والاستيلاء على عدد كبير من وثائقه والتي نشرت على شبكة الانترنت، قبل إحراق المبنى. وظلت الرستن عصية على عناصر الأمن وعلى الجيش لعدة أسابيع، وفي يوم جمعة (حماة الديار) تمكن الأهالي من القيام ببث مباشر لاعتصامهم عبر قناة "الجزيرة" من خلال الهاتف المحمول وفي الأسبوع الذي سبقه كان البث من قرية تلبيسة، الأمر الذي أغضب النظام السوري، وتطورت الأمور لتصل إلى ذروتها يوم الأحد الذي يليه فتم إرسال تعزيزات عسكرية والضرب بيد من حديد لتكون هذه المرة الثانية التي تتعرض فيها تلبيسة والرستن المحاصرتين لقصف مدفعي منذ اندلاع الاحتجاجات في البلاد.

ازدادت وتيرة المظاهرات في الرستن فلم تعد تقتصر على أيام الجمعة وصارت تشمل أيام وليالي الأسبوع فيما يعرف بمسائيات الرستن وكانت مظاهرات الرستن تبث مباشرة على كبريات القنوات الفضائية العربية والعالمية.

بدأ الكثير من شباب الرستن الضباط من رتب ملازم وملازم اول ونقيب ورائد بالانشقاق عن الجيش العربي السوري وأعلنوا تشكيل كتيبة خالد ابن الوليد والتي اتخذت من سهول ومزارع مدينة الرستن مقراً لها حيث بلغ عدد ضباطها والجنود اللذين التحقوا فيها ما يربو عن 900 ضابط وصف ضابط وجندي منشق عن الجيش. وقد أعلنت هذه الكتيبة التي انضوت لاحقاً تحت ما يدعى الجيش السوري الحر أن مسؤوليتها الأساسية هي حماية الشباب المتظاهرين السلميين والتصدي لمليشيات الأمن والشبيحة.

في أواخر شهر أيلول اجتاحت قوات الجيش السوري مدينة الرستن بحوالي 250 دبابة وعشر مروحيات و4000 عنصر عسكري وأمني في أضخم عملية عسكرية يقوم بها الجيش السوري منذ أحداث 82 في لبنان وحرب تشرين عام 1973 ودارت رحى معركة طاحنة امتدت من يوم الاربعاء 28 أيلول وحتى يوم السبت 2 تشرين الأول بين صفوف العساكر المنشقين عن الجيش وقوات الجيش النظامي وأسفرت العملية عن ما بات يعرف بمجزرة الرستن الثانية حيث تم تسجيل مئات الشهداء والجرحى من المدنين والأطفال ومن طرف قوات الجيش إضافة لحوالي 3000 معتقل من الشيوخ والشباب .ولا تزال المدينة تتعرض للهجوم والاشتباكات بالتزامن مع انقطاع للكهرباء والماء والاتصالات السلكية واللاسلكية والمواد الطبية في المدينة منذ أكثر من أسبوع في ظل ظروف انسانية بالغة السوء.

احصائيات:

عدد الشهداء199

عدد المعتقلين المسجلين لدى مركز توثيق الانتهاكات 29

أول شهداء الرستن :الملازم مراد طلاس - رفض إطلاق النار على المتظاهرين -بتاريخ 4/17

ثورة لوجيا

موقع العدد: الشعب السوري عارف طريقه

(sha3b3aref.blogspot.com)

موقع يعنى بشؤون الثورة السورية يأتي داعماً لصفحة "الشعب السوري عارف طريقه" واسعة الانتشار على الفيس بوك، إلا أن مطوري الموقع لم يولوه اهتماماً جيداً بعكس صفحتهم على الفيس بوك والتي يتم تحديثها بشكل منتظم .

الموقع يظهر بصعوبة في محركات البحث، و لا توجد إحصائيات معلنة عن عدد زوار الموقع و لكن بحسب إحصائياتAlexa تبين أن الموقع أحرز عدداً كبيراً من الزيارات خلال فترة قصيرة.

المسؤول عن الموقع

لا يوجد تعريف واضح لمالك الموقع حيث يُعرف صفحته بأنها صفحة للحوار حول مصير سوريا ، رافضاً للخطابات الطائفية التحريضية و داعياً إلى وحدة الشعب السوري.

البرنامج المستخدم لإدارة الموقع :

يستخدم الموقع مدونة مجانية على موقع spot.comblog

الحماية:

يتميز الموقع باعتباره منصة تدوين عالمية بحماية عالية ضد جميع أنواع الاختراقات التقليدية.

مميزات الموقع :

- تقسيمات الموقع متنوعة: النضال السلمي – خواطر – مقالات – مواقف.
- في قسم النضال السلمي: يقدم المحرر توثيقاً تاريخياً مختصراً لشعوب نالت حريتها عن طريق النضال السلمي. هذا المحتوى يمثل مرجعاً تاريخياً غنياً للشعب السوري خلال ثورته السلمية .
- قسم صفحة أخبار الثورة السورية: والتي تستعرض تحديثات أخبار سوريا عبر تويتر بشكل آني.
- الصفحة الرئيسية تحتوي على رابط باسم "نفس الشي" والذي يحيلك إلى ألبوم لمجموعة من الصور التي تستعرض أوجه التشابه / التطابق بين الجمهورية العربية السورية الوراثية وبين جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية الوراثية أيضاً.
- قسم "مواقف" والذي يؤرشف عدداً من البيانات التي صدرت خلال الثورة السورية من لجان محلية أو خارجية.
- امكانية البحث داخل الموقع.
- إمكانية متابعة تحديثات الموقع عن طريق الاشتراك بالنشرة البريدية.

سلبيات الموقع :

- القائمة الجانبية للموقع تشتمل على عدد من روابط الفيديو التي تسبب ثقلاً في تحميل محتويات صفحاته. ينصح بإدراج هذه الروابط في صفحة قسم الفيديو الغير مفعلة .
- الصفحة الرئيسية تظهر المقالة الأخيرة فقط ولا تحتوي على أي روابط للمقالات السابقة.
- الموقع يحتاج إلى ترتيب المحتويات وفقاً لتسلسل زمني كما يحتاج لفرز محتوياته بطريقة أفضل بحيث لا يتم إدراج المقالات في قسم الخواطر و قسم المواقف أو العكس.
- بعض أقسام الموقع غير مفعلة مثل الخريطة التفاعلية، الفيديو، والدولة المدنية على الرغم من أن مقالة الدولة المدنية يمكن قراءتها إذا اتبع الزائر رابط المنشورات الأقدم من خلال الصفحة الرئيسية.
- لم يتم تحديث الموقع منذ فترة طويلة بالرغم من أن عدد الزيارات التي حققها خلال فترة قصيرة كان كبيراً

الزاوية القانونية

قانـــون الإعـــلام

خاص | سوريتنا

توجت الصحافة منذ ظهورها عالمياً كسلطة رابعة، لكنها ومع التطور الهائل في الوسائل والمضامين، تقدمت لتصبح السلطة الأولى وصاحبة السبق في تكوين الرأي العام وتوجيه المجتمع والاقتصاد والسياسة.

إن أكثر ما يهم السلطات هو السيطرة على وسائل الإعلام، ولهذا فإن القوانين والقرارات التي تتحكم بالمطبوعات تشكل أهمية كبيرة للسلطات القمعية التي تحاول التحكم بشكل كامل بحياة شعوبها فتقوم بتفصيل قوانين على مقاسها مما يخدم سياستها، ويمنع الآخرين من الوصول إلى هذه الوسائل رغم أن أغلب الحكومات الديكتاتورية تنص دساتيرها على أن حق التعبير عن الرأي حق مقدس وذلك انسجاما مع الاتفاقيات الدولية والمبادئ العامة للأمم المتحدة إلا أنه من الناحية العملية تظهر استحالة ممارسة هذا الحق، فمفهوم حرية التعبير عن الرأي لا قيمة له إذا لم يملك المواطن الأدوات اللازمة للتعبير عن هذا الحق.

تتالت على سوريا مراحل لإصدار المطبوعات وكان يصدر فيها عام 1920 13 مجلة و42 جريدة دورية، وكانت أول مطبوعة سورية قد صدرت عام 1851 (مجلة مجموع الفوائد)، كما تم إقرار أول قانون مطبوعات عثماني عام 1865 واستمر العمل به حتى الاستقلال حيث تم إقرار قانون المطبوعات رقم 53 لعام 1949.

وعند استلام حزب البعث للسلطة عام 1963 صدر الأمر العرفي رقم 4 الذي أغلقت بموجبه جميع الصحف والمجلات وأوقفت الرخص وصودرت جميع أدوات الطباعة والمطابع وتم الحجز على الأموال المنقولة وغير المنقولة لأصحاب المطابع ودور النشر واستثني من هذا القرار «جريدة البعث» و«الوحدة العربية» و«بردى» التي كانت تابعة لحزب البعث والناصريين، تم إغلاق 13 صحيفة في دمشق، و3 في حلب، و2 في حمص، وواحدة في حماة.

على الرغم من صدور دستور 1973 الذي نص على ضمان حرية التعبير والرأي ورغم توقيع سوريا على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية عام 1969، فقد نص بيان المؤتمر الخامس لحزب البعث على تطبيق مبدأ مركزية الإعلام وجاء المؤتمر السادس ليؤكد على تبعية الإعلام للسلطة، وقد أنشأت سلطة الحزب الواحد عدداً من المؤسسات الإعلامية (الوحدة، البعث- الوكالة العربية للأنباء- تشرين- معهد الإعداد الإعلامي...) والتي رسخت المبادئ الأساسية لتعامل السلطة مع الإعلام وتجلت فيما يلي:

1 - احتكار الدولة لكافة وسائل الإعلام.

2 - الاعتماد على مبدأ الإعلام الموجه.

3 - إحداث مجلس أعلى للإعلام مشكل من قيادة الحزب والخارجية والإعلام والإدارة السياسية للجيش.

تحت راية الإصلاح والتغيير وتوسيع هامش الحريات جاء قانون الإعلام رقم 108 لعام 2011 والذي ألغى القانون رقم 68 لعام 1951 وقانون المطبوعات رقم 50 لعام 2001، وقانون التواصل مع العموم على الشبكة الصادر بالمرسوم رقم 23 لعام 2011 والمرسوم التشريعي رقم 10 لعام 2002 المتعلق بالإذاعات الخاصة. رغم الإيجابيات الواضحة في هذا القانون واعتباره أقل سوءاً مما سبقه، إلا أنه لا يخرج عن مفهوم تسلط الدولة وأجهزة الأمن على الإعلام وهذا ما سنناقشه بشيء من التفصيل:

1 - في المادة 1 من القانون أبقى المشرع على ما يسمى المجلس الوطني للإعلام، والذي رغم التغيير في هيكليته إلا أن شروط عضويته فضفاضة تسمح للحزب والأمن بانتقاء الأعضاء دون أي إلزام قانوني.

2 - ورد في المادة 10 من القانون وهي مادة في منتهى الغرابة:

أ - تلتزم الجهات العامة بالرد على طلب الحصول على المعلومات المقدم من الإعلامي بعد إبراز وثيقة تثبت هويته خلال سبعة أيام من تاريخ إيداع الطلب لديها...

ب - تختص محكمة القضاء الإداري بالنظر في رفض طلب الحصول على المعلومات على أن تبت فيه بقرار مبرم خلال مدة لا تتجاوز شهر من تاريخ إيداعه لديها. (إن مدة شهر وسبعة أيام تتعارض مع أبسط مقومات العمل الصحفي وسرعة انتشار المعلومة).

3 - تنص المادة 12 من القانون المذكور وبعد قائمة طويلة من محظورات النشر على الوسائل الإعلامية بالفقرة الخامسة: «كل ما يمس رموز الدولة». (كان على المشرع توضيح مصطلح رموز الدولة ومن يشمل بالتحديد فهذا المصطلح الغامض يعتبر غطاءً للفساد ويضع هيئات أو أحزاب أو أشخاص فوق القانون وفوق المساءلة).

4 - تنص المادة 38 من القانون المذكور والتي تحدد الشروط الواجب توافرها في من يطلب طلب ترخيص مطبوعة دورية : «أن يكون متمتعاً بالجنسية السورية منذ خمس سنوات على الأقل». (وبذلك تتجدد مشكلة الأكراد المجنسين عام 2011 والتي كان على المشرع إكسابهم الجنسية بأثر رجعي وتنطبق هذه الحالة على قانوني الأحزاب والانتخابات).

5 - تنص المادة 60 والمتعلقة بشبكات التواصل في الفقرة «ب»: «تعد وسيلة التواصل على الشبكة مسؤولة أمام الغير وأمام القضاء عما يرد فيها من محتوى أو التعليقات عليه». إن أي متتبع لآلية العمل الإعلامي على الشبكة يدرك ما تتضمنه هذه المادة من قيود على حرية التعبير.

6 - المادة 79 من القانون والتي تعاقب كل مخالف للمادة 12 منه: «المتضمنة لحظر نشر كل ما من شأنه المس بالشعور الوطني أو المذهبي أو نشر معلومات عن المؤسسة العسكرية أو المساس برموز الدولة». بإيقاف الوسيلة الإعلامية عن النشر أو البث لمدة لا تقل عن 3 أشهر في المرة الأولى وبإلغاء الترخيص في حال التكرار، إضافة إلى أن المواد من 79 إلى 97 تعج بالغرامات المرهقة المطبقة على الصحفي أو على الوسيلة الإعلامية مما يشكل عبئاً على المؤسسات الإعلامية ويعيق قدرتها الاقتصادية.

7 - على هامش قانون الإعلام فإن قانون اتحاد الصحفيين الملزم للعاملين بالصحافة الانتساب إليه قد حدد شروطاً وأهدافاً للاتحاد يستطيع من خلالها حجب حق العمل الصحفي عن أي صحفي يخرج عن الحدود المرسومة له أو يخالف توجهات السلطة، فقد حدد المرسوم رقم 58 لعام 1974 القاضي بإحداث اتحاد الصحفيين : «إلزام كل المنتسبين إليه بالإيمان بها والعمل بموجبها تحت طائلة الفصل والحرمان من العمل الصحفي وبالنضال لتحقيق أهداف حزب البعث بالوحدة والحرية والاشتراكية ونشر فكره التقدمي الاشتراكي». ووضع عقوبات تصل إلى حد الفصل على الصحفي الذي ينشر ويزعزع ثقة الشعب أو يقوم بإثارة الغرائز التي تتعارض مع مصلحة المجتمع أو تصوير الواقع تصويراً غير أمين، وكلها تعابير مطاطة يمكن إلصاق تهمتها بأي مقال صحفي أو تحقيق ووضع الصحفي تحت المسائلة والفصل في كل حين.

8 - كذلك قانون المؤسسة العامة لتوزيع المطبوعات المحدثة بالمرسوم التشريعي 24 لعام 1975 والذي حصر حق توزيع المطبوعات بالمؤسسة كما أعطاها حقوقاً مادية تصل إلى 30 ٪ من نسبة التوزيع حتى بات المواطن السوري والذي تربطه علاقة تقليدية مع مطبوعات تصدر في لبنان أو الكويت مرهونا بالعلاقات السياسية بين البلدين ورضى الحكومة السورية على هذا الفريق أو ذاك.

وجـوه مـن وطنـي

فخري البارودي (1887 – 1966)

سوريتنا | حنين اليوسف

«لم يكن البارودي رجل دولة بل كان رجل زعامة بكل معنى الكلمة، وهو الإنسان الشفاف الواضح الصريح الذي لا يخشى قول الحق، وهو رجل التعددية بكل معنى الكلمة، فقد أجمع على صدقه العدو والصديق حتى أن فرنسا لقبته بالعدو الصادق».

فخري بن محمود بن محمد حسن بن محمد الظاهر الملقب بالبارودي، إحدى الشخصيات الوطنية البارزة في تاريخ سورية الحديث، أديب وشاعر، كان جده «ظاهر العمر» حاكم صفد. ولد في دمشق في حي القنوات عام 1887، ونشأ يحيط به الدلال والترف لأنه الابن الوحيد لوالديه إلى جانب شقيقتيه. أرسله والده إلى «الخجا» وهي معلمة في المرحلة الابتدائية التحضيرية علّمته القرآن الكريم ولم يتجاوز الست سنوات من عمره. ولما بلغ العاشرة أدخله والده «المدرسة العازارية» ثم «المدرسة الريحانية» واستقر أخيراً في «مكتب عنبر» الثانوية الوحيدة في دمشق يومئذ. نال شهادته عام 1908 وهو العام الذي قامت فيه جمعية «الاتحاد والترقي» بانقلابها على السلطان عبد الحميد الثاني، وهنا بدأت رحلة نضاله، فانضم إلى حلقة الشيخ طاهر الجزائري الوطنية، وصار يخطب في كل حفل داعياً إلى يقظة العرب وحرّيتهم. ثم أصدر عام 1909 جريدة شعبية ساخرة أسماها «حطّ بالدُرُج» كان هدفها نقد أوضاع البلاد وبعث الشعور القومي وحرر فيها مع «محمد عارف الهبل» دون أن يعلن عن اسمه على صفحاتها لأسباب عائلية.

حبه للتحصيل العلمي دفعه للسفر إلى الخارج لمواصلة دراسته دون علم أبيه فاستقل القطار إلى فلسطين وذهب بحرا إلى فرنسا التي قضى فيها عاما قبل أن يجبره والده على العودة، فرجع إلى سوريا وتزوج. لكن البارودي لم يكن ممن يحلمون بالاستقرار العائلي بل كان رجلاً ثوريا متمردا، ذهب ليحارب الإنكليز في طبريا وبئر المغارة ووقع أسيرا في معركة بئر السبع، ثم أفرج عنه ليعود إلى بلاده فتطوع في جيش الثورة العربية الكبرى عام 1916م. عيّنه الشريف حسين ضابطاً مرافقاً لابنه الملك فيصل عند دخوله إلى دمشق لتفانيه وإخلاصه.

كان من أوائل المشاركين في مقاومة الإحتلال الفرنسي لسوريا، فشارك في معركة ميسلون 1920 ومارس نشاطاً كبيراً في التحريض على الثورة، وكان يستقبل الثوار في بيته وينظم الاجتماعات المؤيدة لهم ويدعمهم بالمال اللازم، فاعتقله الفرنسيون في سجن قلعة دمشق وحوكم ثم أفرج عنه.

في عام 1927 عمل البارودي على تأسيس الكتلة الوطنية مع الرئيسين هاشم الأتاسي وشكري القوتلي، وانتخب نائباً عام 1932 وقد كان دائم الرفض للوزارة التي عرضت عليه عدة مرات، مفضلاً عليها منصب النيابة لأنه منصب يختاره الناس كما كان يقول. وافتتح مكتباً لنشر الوعي الوطني والدعاية للقضايا الوطنية سماه «مكتب البارودي لخدمة القومية العربية» وقد انضم إليه رجال الكتلة الوطنية.

أصدرت الكتلة في 10 كانون الثاني 1936 بياناً باسم الشعب السوري ضمنه ميثاق الأمة القائم على أمانيها وحقها بالوحدة والاستقلال وبعد نشر البيان بثمانية أيام أغلقت السلطة مكاتب الكتلة وقبضت على البارودي والمحامي سيف الدين المأمون، فعمت الاضطرابات المدن السورية ولاسيما دمشق التي أضربت إضراباً شاملاً استمر خمسين يوماً، وحدثت صدامات دامية، وكان من نتائجها اضطرار فرنسا إلى الإفراج عن البارودي وسائر المعتقلين. وحين أعلنت عودته، خرجت دمشق لاستقباله والترحيب به، وحُمِل على الأكتاف إلى بيته.

كان تأسيس البارودي لفرقة القمصان الحديدية عام 1936 من أبرز أعماله. وكانت على غرار منظمات الفتوة العسكرية في العالم، لتكون دعامة الجيش السوري المقبل. وكانت تدريبات هذه الفرقة تجري في شوارع دمشق وتقابل بالترحيب والهتاف. ومن مآثر البارودي دعوته إلى «مشروع الفرنك» الذي يقضي بأن يدفع كل مواطن فرنكاً سورياً واحداً (خمسة قروش) كل شهر، يُنفق في سبيل الدعاية للقضية العربية في الخارج. وقد توقف هذا المشروع عام 1936. وكان من أعماله البارزة الأخرى دعوته إلى مقاطعة البضائع الأجنبية مقاطعة تامة.

عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية عام 1939شددت السلطات الفرنسية الحصار على الوطنيين واتهمت البارودي بحيازة السلاح فلجأ إلى الأردن وعاش فيها سنتين عانى فيهما الفقر والجوع والتشرّد ثم عاد إلى دمشق بعد هدوء الأحوال وانتخب للمرة الثالثة نائباً في البرلمان. وفي عام 1947 أعيد انتخابه وكان قد أصبح عقيداً في الجيش وكان مسؤولاً عن المقاومة الشعبية. وعندما شعر بثقل الأعباء عليه استقال من البرلمان واعتزل العمل السياسي.

لقد وجه البارودي عنايته إلى إحياء التراث الموسيقي العربي وجمعه وتدوينه. واهتم بشكل خاص برقص السماح والموشح، ووضع موسوعة موسيقية ضخمة من أربعة مجلدات. وكان أديباً شاعراً، وله ديوانان من الشعر المقبول، كما نظم عدداً من الأناشيد الوطنية والحماسية. كان معروفاً بحبه للمرح والدعابة وكان منزله منتدى يلتقي فيه ظرفاء الشام وأدباؤها، وكانت مكتبته قيمة تشتمل على الكثير من الكتب والمخطوطات وأكثرها في الموسيقى وقد أتت عليها النار في حوادث 18 تموز سنة 1963م.

توفي البارودي في 2 أيار 1966 ، وشيّعته دمشق إلى مثواه الأخير تشييعاً حافلاً، لكننا مانزال نذكره كلما أنشدنا معاً:

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان
ومن نجـد إلى يمنٍ إلى مصر فتطوان

عروة نيربية

الإضراب هو جد كل أشكال الاحتجاج السلمي. هو لا يحرض صداما مباشرا ويعرف الجميع على حجم سلطة الشعب وإرادته. من لا يلتزم بالإضراب منبوذ على مر التاريخ... الإضراب اسلم أشكال الفعالية. عدمه يدفع باتجاه الصدام

عماد الحصري

تسعة عشرة قتيل في سوريا اليوم..... تحولنا إلى أكثر من آلات إلى كثر... من ما بعرف شو!!! تسعة عشر فاجعة!!! كأنه أصبح حدث اعتيادي تحول الشهيد إلى رقم!.. والرقم له عائله والعائلة تحمل حلما وتنتظر فطورها الصباحي..الرقم هو أنت وأنا..

ندى الخش

حزن عميق وقلق أعمق حين تمر من الحواجز الأمنية والعسكرية ويكون تسهيلات لبعضهم وتنكيل للبعض الآخر.... تخريب لنسيج اجتماعي مارسه النظام طويلا وعلى عقود من السنين ويريد متابعة خطته في التخريب... كل الأمل أن تكون أخلاقيات الثورة كفيلة بتجاوز هذا الانقسام على هوية وطائفة وان تكون المواطنة والإنسانية هي قواعد التعامل مع كل البشر..

أحمد العساف

في المعتقل وتحت التعذيب سألوه.. أنت رويترز عرضت عليك تصير مراسلها بدير الزور براتب قدره مية ألف دولار.. قاللهن.. بعشرة آلاف ليرة سورية بقبل بس والله ما صار هالكي.

فايز سارة

صديقة كتبت على صفحتها: على كافة المتظاهرين والمحتجين في سورية التوجه يوم الثلاثاء إلى السعودية للقيام بواجب تشيع ولي العهد سلطان بن عبد العزيز وذلك وفاء لابنه الأمير بندر بن سلطان صاحب المؤامرة على سوريا والذي دفع لكل متظاهر مبلغ 500 ليرة سورية وسندويشة كباب وحبتين كبتاغون. يرجى إعلام الجميع ومن يتخلف ستقطع عنه الإمدادات. على أن يتم التنسيق من اجل واجب العزاء لاحقا. شكرا لتعاونكم.

نسيت الصديقة تقول إذا كان بندر بن سلطان راح يدفع للشباب أجرة الطريق. ولا يصرفوه من المكافأة القديمة!!!!

حلا عمران

في هذه اللحظات التاريخية أتمنى أن لا تنسى شعوبنا الحرة اليوم أنها هي، الشعوب، من كتب هذا التاريخ وهي من صنع حريتها، فلا تسمح يوما بصناعة طاغية جديد يسلبها إياها

يحيى جابر

الشبيحة الذين سرقوا رصيد الروائية «سمر يزبك «لا يعرفون أنها بملايين النسخ الذهبية في مطابع الثورة..يا سمر سينتصر الذكاء على الغباء في حبكة الحرية

إياد عماشة

بعدني مصرّ على إدراج مادة في الدستور الجديد لسوريا، تحت بند الرئاسة تقول: «رئيس الجمهورية إجير بكعكة»

خالد حاج بكري

قال صديقي المصريّ: السوريون أجدع ناس!.. قلت: بل المصريون!

قال: صحيح..المصريون أجدع ناس..فعلاً..ما دام يقول ذلك..شخصٌ سوريّ

رولا الركبي

نظرة سريعة على السيارات التي تطوف شوارع دمشق بالأعلام والصور: رانج، هامر، أودي.....، ترى هل أصبح الشعب السوري بين عشية وضحاها مرفها يركب السيارات الفارهة ؟؟!!!!!!

علي الأتاسي

تذكرني واقعة استقبال الرئيس لوفد الجامعة العربية في قاعة قصر الشعب التي تطل على ساحة الأمويين في ذات التوقيت الذي كانت فيه الساحة ممتلئة قسرا بالحشود المؤيدة، بأرييل شارون الذي كان يحلو له اصطحاب ضيوف إسرائيل في جولة بطائره الهليكوبتر فوق الضفة الغربية ليشرح لهم من الأعلى استحالة إعادتها للفلسطينيين.

حازم نهار

النظام لا يُصلِح ولا يَصلُح ولا يُصَلَّح:

يجب تقديم درس هام حول «الإصلاح» للجنة الجامعة العربية التي تزور سورية: في اللغة العربية وحسب قاموس الثورة يقال النظام السوري لا يُصلِح ولا يَصلُح ولا يُصَلَّح.

رزان غزاوي

أمنيتي بعيد ميلادي (ياللي رح يكون بعد شهر) انو يكون في بين كل حارة وحارة بالشام، دوما.

خطيب بدلة

لاحظ كبير المحللين الاستراتيجيين التابعين لنظام الممانعة السوري أن مظاهرات الاحتجاج في الشوارع قد تناقصت.. يمكن من البرد يا خالد.

عبد الحي السيد

لا تحتاج الثورة إثباتا آخر على تفوقها الأخلاقي... لكن عندما لا يجدون إلا ألحان وإيقاع إبراهيم القاشوش ليرددونها في ساحة الأمويين بكلامات أخرى، وعندما يستخدمون لازمة «الشعب يريد...» ليدخلوا إليها محتوى آخر، فان ذلك يعني شيئا وحدا... إلا وهو السقوط..

رفيق الحلو

نحن نستطيع أن ننزل 20 مليون إلى الشارع إذا سحب أجهزته الأمنية وكتائب الأسد والشبيحة و أطلق سراح جميع المعتقلين، إذا أراد تكذيبنا فليفعل، وما دام لا يفعل، فهذا يعني أن مقولتنا صحيحة

إياد حياتلة

طيّارون سوريّون في اليمن، وقبلها في ليبيا.. والله أعلم وين كمان، وليش؟!!!

الله يرحمك يا فايز منصور

محمد منصور

لم تستطع مسيرات التأييد المليونية أن تحمي حتى تمثال صدام حسين من أن يضرب بالحذاء بعد سقوطه... ولم تستطع المسيرات المؤيدة لمبارك أن تغير جوهر المشهد، أو أن تحول مسار الطريق الذي انتهى به وهو ينكش أنفه في المحكمة... أما في الساحة الخضراء في طرابلس فقد كانت صورة مسيرات التأييد هي الأقرب للنموذج السوري من حيث الصوت الزاعق والتهويل النفاقي... لكنها أيضاً لم تستطع أن تغير مصير القذافي الذي ظل يتحدث عن الجرذان، حتى وجد مختبئاً في مجرور مياه... ولهذا: بلوها واشربوا ميتها.... الثورة ماضية إلى هدفها... والحرية آتية... ورح تتذكروا مسيرات التأييد مثل ما بتتذكروا جريدة كسدانة منشور فيها خطاب للرئيس ومقالات أكل هوا بذكرى الحركة التصحيحية أو عيد الجلوس.. أو ميلاد حزب البعث

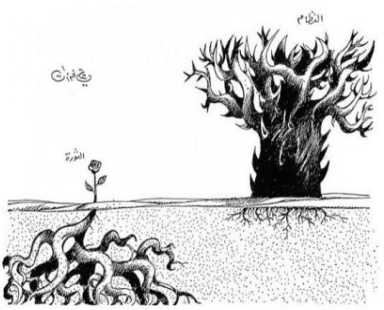

من أجل هذا أعلن العصيان

باسم الملايين التي تساق نحو الذبح كالقطعان
باسم الذين انتزعت أجفانهم
واقتلعت أسنانهم
وذوبوا في حامض الكبريت كالديدان
باسم الذين ما لهم صوت ...
ولا رأي ...
ولا لسان ...
سأعلن العصيان ...

* * *

باسم الجماهير التي تجلس كالأبقار
تحت الشاشة الصغيرة
باسم الجماهير التي يسقونها الولاء
بالملاعق الكبيرة
باسم الجماهير التي تركب كالبعير
من مشرق الشمس إلى مغربها
تركب كالبعير...
وما لها من الحقوق غير حق الماء والشعير
وما لها من الطموح غير أن تأخذ للحلاق زوجة الأمير
أو ابنة الأمير ...
أو كلبة الأمير ...
باسم الجماهير التي تضرع لله لكي يديم القائد العظيم
وحزمة البرسيم ...

نزار قباني

| في إطار تفكيرك السياسي وسياقه، كيف تنظر إلى الثورات العربية الراهنة: هل ترى أنها تشكل قطيعة مع حقبة سابقة، أم استئنافاً لما فات؟

| | ليس من مهمات الفكر السياسي أن يتنبأ أو يصدر أحكاماً قاطعة، فهو يمكنه أن يكون دقيقاً ومنظماً وعلمياً بقدر نسبي. ويمكنه أن يرصد عوامل الظواهر والحوادث وخلفياتها، ويقدم بعض التوقعات. أما التنبوء فنادراً ما يكون صحيحاً، إلا بالمصادفة. ومن أهم الأفكار المتداولة عن الانتفاضات والثورات العربية الراهنة، هي قيامها على الاستبداد ورفضها الاستبداد. وهذا ما يعيدنا أو يذكرنا بعصر عبد الرحمن الكواكبي، وكتابه «طبائع الاستبداد». وفي هذا المعنى قد تكون هذه الثورات استئنافاً أو استعادة. والتفاؤل في هذا السياق يشوبه شيء من الخوف مبعثه شعور بأن تاريخنا يراوح في مكانه ولا يتقدم، بل يستأنف عصر الكواكبي. فالشعارات التي رفعتها الثورات العربية، حتى في بلاد قبلية مثل اليمن، تركز على الكرامة والحرية، وكلها تحمل طابعا ليبراليا كلاسيكياً...

| لكن ألا تتضمن هذه الانتفاضات والثورات عنصراً أساسياً ضد العروبة في معناها القديم، وخصوصاً الناصري؟

لا أظن أن هذه الثورات قامت ضد العروبة، بل هي تقيم قطيعة معها قد يكون باعثها اليأس من تلك العروبة. هنالك قطيعة في الشعارات وأشكال التظاهر. لم نتعود على تظاهرات عربية تحضر فيها النساء، كما شاهدنا في التظاهرات الراهنة التي حضر فيها الأطفال والفتيات والعائلات والأفراد، كما حضرت الموسيقى والفنون والأغاني. ثم إننا لم نشهد مظاهر عنف، كحرق الأعلام، ولا توحيد للشعارات. وهنالك أيضاً ظاهرة الفرح في التظاهر، على خلاف التظاهرات السابقة التي يغلب عليها العبوس. فالذي كان العبوس بادياً على وجهه هو الناطق الرسمي باسم الجيش المصري في أثناء قراءته البيانات العسكرية، على خلاف وجوه الجموع المصرية في الشوارع.

السؤال والجواب من: حوار مع المفكر السوري صادق جلال العظم | جريدة النهار اللبنانية

العصيان المدني والإضراب في دمشق (1936)

سوريتنا | حنين اليوسف

العنف ليس هو الطريقة الوحيدة لتحقيق أهدافنا والوصول إلى غاياتنا، بل إن تضافر جهود قوى المجتمع معاً من خلال الاحتجاجات المدنية والعصيان المدني هو الحل الأفضل، فالعصيان المدني هو خليط من عصيان القانون وإطاعته في آن معاً، وهو أرقى صور التمرد والمقاومة والرفض والاحتجاج ولكن بالشكل السلمي المتحضر. له أشكال متعددة، كأن يخرج المعارضون بشكل جمعي، وفي أوقات محددة، لإجبار السلطات الحاكمة على الانصياع لمطالب المحتجين الهادئين. وكرفض الموظفين الذهاب إلى دوائر الدولة والمدارس والجامعات والمصانع والمعاهد، مع إغلاق كل الأسواق والمحلات التجارية والأفران. وكامتناع سائقي السيارات العامة والخاصة ومحطات الوقود وسيارات الأجرة عن العمل داخل المدن وخارجها. ومثل أن يخرج "العاصون" وهم يرتدون الثياب السود أو البيض رجالاً ونساءاً ولكن بهدوء من دون شعارات، أو نداءات معادية. وكالجلوس في الشوارع الكبرى، وعلى أرصفتها، وفي وسطها، ولكن بصمت.

تاريخ سوريا مليء بقصص البطولات السلمية التي لا تنتهي منذ إضراب مستخدمي سكة الحديد والذي امتد أثره إلى بيروت عام 1931، إلى عصيان دمشق في نفس العام ضد تزوير الانتخابات، وإضراب عمال النسيج عام 1933، وإضراب حلب، وإضراب عمّال المطابع عام 1934، وهناك الإضراب الذي حصل في شباط 1935 احتجاجاً على إغراق السوق ببضائع الشركات الأجنبية (كالأقمشة والتبغ والحلويات)، وقد جرى خلال هذا الإضراب إحراق كميات كبيرة من تلك البضائع في سوق الحميدية. أما الإضراب الأكبر والأشهر فقد انطلقت شرارته من دمشق يوم 19 كانون الأول 1936واستمر لغاية 8 آذار من نفس العام وهو مايعرف بالإضراب الخمسيني نسبة إلى استمراره لمدة خمسين يوماً.

هناك عدة أسباب لاندلاع هذا العصيان منها إغلاق مكتب الكتلة الوطنية حيث وصل إليه في حي القنوات بدمشق في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت الواقع في 19 كانون الثاني 1936 نحو ثلاثين شرطياً على رأسهم مسيو كران مفتش الشرطة الفرنسي، وقام بتوزيع رجال الشرطة في المنعطفات والطرق المؤدية إلى المكتب وأسطح المنازل المحيطة. ثم دخل يرافقه عشرة من رجال شرطة التحري إلى المكتب، وأبلغ الرئيس هاشم الأتاسي أن لديه أمراً بتحري المكتب وضبط ما فيه من أوراق، واستجواب بعض الأشخاص وختم غرف المكتب بالشمع الأحمر، وذلك بناءً على الدعوى المقامة من (مجهول) والتهمة هي تأليف جمعيات غير مأذون بها.

أما السبب الثاني لبدء هذا العصيان فكان رفع شركة "الجر والتنوير البلجيكية" (شركة كهرباء دمشق الخاضعة لسلطة الانتداب الفرنسي) أسعار الكهرباء وتذاكر النقل في الترامواي, وموافقة سلطات الانتداب الفرنسي على هذا بدل أن تقف كوسيط لإصلاح الأمور بين أهل دمشق والشركة. عندها قام الزعيم الوطني النائب فخري البارودي بتأليف لجنة لمقاطعة شركة "الجر والتنوير" مع عدد من الوطنيين برئاسته، فاعتقلته قوات الانتداب الفرنسي ونفته إلى الحسكة، واستيقظت دمشق في اليوم التالي على هذا النبأ مضربةً إضراباً شاملاً، وتعطلت مصالحها ومصانعها ومدارسها إضافة إلى الجامعة السورية، وخرج المتظاهرون يهتفون بحياة النائب البارودي وحياة الوطنيين، واتجهوا إلى منزل البارودي في القنوات وتجمهروا حوله يهتفون بحياته ويطالبون الانتداب الفرنسي بإطلاق سراحه. ترافق ذلك مع مظاهرات في حلب وحمص وحماه.

صوره نادرة لاجتماعات الوطنيين مع شركة الجر والتنوير البلجيكية ١٩٣٦

في 21 كانون الأول أرسلت القوات الفرنسية عناصرها لفض مظاهرة أمام الجامع الأموي فقاموا بقتل عدة طلاب متظاهرين، وقامت الشرطة في حلب باقتحام منزل المرحوم ابراهيم هنانو، فقام القادة في حلب وكرد فعل بالدعوة لإغلاق الأسواق وإطلاق المظاهرات, ويوماً بعد يوم كان عدد المشاركين فيها يزداد كلما اعتقلت القوات الفرنسية عدداً من المتظاهرين. في 22 كانون الأول وفي تشييع ضخم للشهداء، قامت القوات الفرنسية بمهاجمة المشيعين وقتلت اثنين منهم، وكذلك هاجمت مظاهرة في حمص وقتلت ثلاثة متظاهرين وجرحت الكثير.

كل هذا لم ينقص من عزيمة الطلاب فكانت المظاهرات تخرج من مكتب عنبر ثم تتوزع على فرعين، الأوّل يأخذ طريق مدحت باشا والثاني سوق الحميدية، وفي هذين السوقين كانت تتركز الحياة الاقتصادية في دمشق، ثم تتطور الأمور إلى اصطدامات بين حجارة المتظاهرين ورصاص الجنود ويقع القتلى وتقام الجنازات. كما قامت مجموعة من الطلاب بالوقوف على جسر فكتوريا لمنع وصول الطلاب إلى الجامعة. كرد فعل على هذا، قامت السلطات الفرنسية باستخدام نفوذها لفصل الطلاب المتظاهرين من الدراسة، ولكن مع ازدياد عددهم صدر قرار علّقت فيه الدراسة في الجامعة.

إضافة إلى المظاهرات التزمت أغلبية المواطنين بمقاطعة شركة "الجر والتنوير" وذلك بعدم استخدام الكهرباء في المنازل والاستعاضة عنها بالشموع والكازات. وقام الشبان بتحطيم شبابيك الدور التي تستخدم الكهرباء ورمي مفرقعات تزعج ولا تحدث أذى، واضطرت الشركة لإيقاف سير الحافلات إلى الميدان ثم إلى باب توما والقصاع ودوما بعد تكرر اعتداء المتظاهرين عليها وتحطيمها.

في 27 كانون الأول دعا جميل مردم بك باسم الكتلة الوطنية لاضراب عام لحين استعادة نظام دستوري يسمح بتشكيل وعمل الأحزاب بحريّة ولكن في الواقع جاءت هذه الدعوة بعد أن بدأ الإضراب، وهذا يؤكد أنه رغم كون الكتلة الوطنية جزءاً من الثورة ولكنها لم تكن قائدة ومحرّكاً لها بل إن الطلاب هم من قادوا هذه المظاهرات.

خلال الأيام التالية دخلت سورية في أكبر إضراب شهده تاريخها إلى يومنا هذا. المحلات مغلقة، الخدمات العامة معطلة، الجامعات والمدارس خالية، وقام أغنياء التجار بالتبرع بالأموال. حينها اجتمع قادة الطلاب وقادة الكتلة الوطنية ومشايخ دمشق في الجامع الأموي لصياغة المطالب المشتركة المتمثلة بإطلاق سراح المئات من السجون، وإلغاء طرد الطلاب المتظاهرين، وإعادة فتح مكاتب الكتلة الوطنية.

دخلت حماة مسرح الأحداث في مظاهرتها في 4 شباط، واعتُقل قادة الكتلة الوطنية في حماة في 6 شباط. خرجت في 8 شباط المظاهرات في حمص نصرة لحماة، وفي 10 شباط خرجت في دير الزور، ووصلت الثورة السورية لمرحلة لا يؤثر القمع فيها إلا زيادة في قوتها وانتشارها، واستمر الاضراب في ضرب الاقتصاد. وأصدرت السلطات أمراً بمنع التجمّع في أي شارع لأكثر من ثلاثة أشخاص وهددت بالانتقام بعنف لأي محاولة لإثارة الشغب.

في صباح 11 شباط تم اعتقال جميل مردم بك ونسيب البكري، وفي 12 شباط تم فرض القانون العسكري وعُزّزت الحاميات العسكرية بحجة مواجهة فرق مسلّحة منتشرة، واعتقل خلال يومين قرابة 150 من زعماء ووجهاء الحارات. في 13 شباط تم اعتقال قادة الكتلة الوطنية في حلب، وبدل أن يتسلّل الرّعب إلى أصحاب المحلات كما كان يرجو الفرنسيون، استمر الإضراب واستمر الطلاب وغيرهم بالتظاهر، وانضمت مدن مثل اللاذقية وطرابلس وبيروت للإضراب تعاطفاً ورفضاً للقانون العسكري.

ولا يمكننا أن ننسى هنا دور المرأة السورية في مواجهة الأحداث الدامية التي ارتكبها المستعمر الفرنسي، فقد شاركت في تشييع الشهداء بمظهرات كبيرة منددة بالمستعمر ومطالبة بجلائه عن أرض الوطن. ومن هذه المظاهرات تلك المظاهرة الكبيرة لسيدات دمشق التي انطلقت إلى دار القنصلية البريطانية والعديد من دور القناصل لتقديم مطالب أهل دمشق برحيل المستعمر، والتي قوبلت بقمع عسكر الانتداب الفرنسي في بوابة الصالحية. كما شكلت نساء دمشق العديد من اللجان للإعانات وجمع التبرعات للمنكوبين والفقراء والمحتاجين والجرحى.

بعد الصدامات الدامية بين المتظاهرين وقوات الانتداب الفرنسي طلب المستعمر إجراء المفاوضات مع زعماء سوريا آنذاك، فتشكل وفد من الكتلة الوطنية وجرت المفاوضات يوم 28 شباط في بيروت، وفي نهاية المفاوضات أعلن الأتاسي في 2 آذار 1936 بياناً جاء فيه "بعد المحادثات التي دارت بين المفوض السامي ورئيس الكتلة الوطنية والنتائج التي وصلت إليها أصبحنا نعتقد أن القضية السورية دخلت في طور جديد بفضل جهود الشعب النبيل ومثابرته في سبيل حقوقه الطبيعية التي كانت منكرة عليه. وقد وافق الجانب الفرنسي بوثيقة موقعة منه على تنفيذ خمسة أمور جوهرية لم يكن يقرّها قبل هذه المحادثات، هي:

1 - الموافقة على أن لا تقل حقوق السوريين في المعاهدة العتيدة عن حقوق إخوانهم العراقيين في معاهدتهم الأخيرة مع بريطانيا.

2 - تصريح الجانب الفرنسي بأنه ليس له مصلحة ما في تجزئة البلاد السورية.

3 - الموافقة على نقل ساحة العمل للعاصمة الفرنسية بواسطة وفد من المواطنين يتولّى البحث مع المراجع العليا في باريس.

4 - إعادة الحياة النيابية الحرة بأسرع ما يمكن على أساس الانتخاب الشعبي.

5 - الإلغاء في الحال لجميع الأحداث التي ولدتها الحالة الحاضرة في البلاد السورية كافة منذ 18 كانون الأول الماضي أي سنة 1935 إلى الآن، من عفو عن المحكوم عليهم وإعادة حرية المعتقلين وإطلاق سراح الموقوفين وإلغاء التدابير الإدارية المتخذة في معاهد العلم.

ولكي يتمكن الوفد من القيام بالمهمة الشاقة التي تودع إليه نرجو من الأمة النبيلة أن تيسر له جواً هادئاً فتعود إلى أعمالها بعد عيد الأضحى 1936 الذي نرجو أن يكون فاتحة خير على هذه البلاد".

وتنفيذاً للبيان غادر وفد سوري إلى باريس في 21 آذار 1936 ليفاوض من أجل معاهدة جديدة ونتيجة لذلك وقعوا معاهدة 9 أيلول 1936 في باريس، واعترفت حينها فرنسا ولو اسمياً باستقلال سوريا.

لقد كان لهذا الإضراب قوة أكبر من قوة السلاح. لقد كان بحق وسيلة مثالية لإضعاف قبضة السلطة دون استخدام العنف. وعلينا اليوم، في هذه المرحلة الحاسمة التي نعيشها، أن نطبّق فكرة العصيان المدني ليكون هو حركتنا المستقبلية التي تنبع من خياراتنا الذاتية للوصول إلى حقوقنا كاملة دون الاستسلام لأنصاف الحلول أوالرضوخ للتسويات الشكلية، لنصل بذلك إلى مجتمع ديمقراطي تعددي قائم على حقوق المواطنة والمشاركة والعدالة.

سوريا أثقُ بكِ

■ هالا محمد

... ... بين موتٍ سوريّ وحياة سوريّ تستمر الحياة بكثافة لم تعهدها الحياة من قبل.

الدقائق والثواني واللحظات لم تكن في عمرها على هذه القيمة المعنوية والاعتبارية والمادية كما الآن.

لم تكن الحياة في عمرها أغلى من اللحظة ولم يكن الموت في عمره أقرب إلى الحياة، مرآتها، الغرفة المجاورة، الشارع الذي يتفرّع عن الشارع، صدى المدينة للمدينة، بحّة الصوت في الصوت، ألم الدم في الألم.

أنتِ تحيا اللحظة، لكنّ موتاً مباغتاً قد يُرديك في اللحظة التي تلي، أو في عمق اللحظة ذاتها، وفي قاع الخوف المقيم في داخلك تلتقي وجهاً لوجه مع حتمية كرامة الإنسان فتنهض.

انتفاضة سلمية إنسانية تكثّفت في لحظة الحاضر، لإنسان لم يحاول تغيير عنوان الموت على باب صدره، وهو يعرف أنه بتغيير مواقفه كان يستطيع تغيير عنوان موته التراجيدي المجلجل هذا بميتةٍ بعيدة ربما! صامتة تشبه حياته السابقة.

عذراً من اللّه، الحقيقة. أما الأديان صنيعة السياسة، صانعة السياسة، فلا شأن لي بها.

تتجمّد الرصاصة مصعوقةً أمام الجسد الذي يصرخ بملء الحياة: "حرية".

وبعد ميلاد الصرخة، بعد خلاصها في دورة ولادتها الطويلة في العقل والجسد والروح، بعد اندلاعها في هواء سوريا العليل، تعود الرصاصة إلى حتمية عماها التاريخي ترتطم بالجسد. وتموت الرصاصة.

لا يحيا الموت، يا لغباء الرصاصة، الحرية هي التي تزهر بالوفاء لمن رحل، وتنبت الرياحين والقبور.

الحرية لا تنتصر، طريق النصر خسارة للروح. هل ينتصر أهل البلد على أهل البلد؟ الحرية تَعدل ، تحلّق بالجميع أحياء وموتى.

الطغاة يخشون الارتفاعات، يحفرون الزنازين والقبور للشعوب المنتفضة على الطاعة، الشعوب التي حلّقت بها حريتها عالياً عالياً.

أعرف أن الطريق طويل، وأن الكثير من السوريين انتظر وأراد الإصلاح والتغيير السلمي والسير بمشروع وطني واضح شفّاف نحو التعددية والدولة المدنية الديمقراطية، ونحو مواطنة يتساوى فيها المواطنون السوريون في بلد هو بلدهم يحيون فيه بكرامة.

الإصلاح كان ضرورة من أجل لجم تغوّل الفوارق والطبقية منها، وازدياد حاجة المواطن في كل خطوة من حياته إلى العدل وإلى كفّ يد الفساد والأمن عن جمال سوريا وطموحها إلى النهضة.

لكن مع الأسف تبدّى عبر الزمن الطويل من الانتظار، أنّ مجرّد أمل الانتظار كان هو الإصلاح الموعود!

لا أعتقد أن استحداث قانون إعلام يحرّكه الريموت كونترول الرسمي نفسه يستحق ثلاثة آلاف شهيد سوري.

وأن قانون طوارئ أُقيل من الخدمة وعُيِّن سائقاً للدبابات، فحصد بحكم خبرته الطويلة الآلاف من الشهداء والمعتقلين والجرحى والأحقاد والفرقة والظلم والخوف والأحزان والظنون واليتامى، هو القصد!

إذاً، ما هو ثمن دولة مدنية ديمقراطية يتساوى فيها المواطنون أمام قانون عادل؟!

إن محاولة لجم طموح شعب مثل الشعب السوري العظيم بغول السلفية هو أمر مثير للألم والسخرية.

الطائفية ليست لغة السوري ولا تمسّ عقله وعواطفه في طبيعة عيشه العريق المشترك المشهود له بالألفة والودّ والأمان وطيب المعشر والانفتاح والذكاء.

سوريا أثق بكِ.

جريدة النهار | الثلاثاء 2011/10/25

عبـــور

خرج من الجامع بعد صلاة الظهر, لكن ليس كما اعتاد الخروج كل مرة... خرج ملفوفاً بكفن أبيض, ومزيناً بالورود وأغصان الزيتون... هذه المرة لم يستطع الخروج على قدميه كالعادة, فحملته أيادٍ أحست بنفسها أقوى من أي وقت مضى...

لم يتلفت حوله كما اعتاد عند خروجه من الجامع... لم يلق التحية على أصدقاء الطفولة, ورجال يَجلسون أمام دكاكينهم, وكهول تكاد عكاكيزهم ألا تحملهم وتحمل همومهم... فقد كان ممدداً, ورأسه نحو الأعلى, نحو سماء ربما ذهب إليها, أو ربما صدقاء ألا يزال في طريقه ليطرق بابها...

لم يعد إلى بيته مع بعض الفاكهة والخضار... لم يدر المفتاح في القفل ويفتح الباب ليرى أمه بوجهها ذي التفاصيل الدقيقة وهي تستقبله بكل ما لدى الأم من حنان... فقد خرج للتو من بيته للمرة الأخيرة, ولن يستطيع العودة إليه يوماً...

أعلم أن عينيه كانتا مغمضتان, وأنه لم ير تلك الحشود التي جاءت لتودعه... لكنني أعلم أيضاً أنه أحس بوجودي, وعرف أنني قد جئت لأراه لأول, وآخر مرة...

مهداة إلى عامر بزازة... وإلى كل شهداء وطني الحبيب... وطني الجريح...

شهداء سورية

مجموع الشهداء (3793)

دمشق: 105
ريف دمشق: 307
حمص: 1213
حلب: 67
حماه: 467
اللاذقية: 227
طرطوس: 91

درعا: 645
دير الزور: 138
الحسكة: 33
القامشلي: 0
الرقة: 12
ادلب: 417
السويداء: 16

653 عدد العسكريين
3140 عدد المدنيين
112 عدد الإناث
3444 عدد الذكور
40 عدد الأطفال الإناث
197 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 29 / 10 / 2011